الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٤٤ - ٧ مايو سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No 44. — Lundi-7-5-1934

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠

العـــدد ٤٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ محرم سنة ١٣٥٣ — ٧ مايو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

٧٦١ يوم الجمعة: احمد حسن الزيات
٧٦٣ الضمير الهارب : الدكتور طه حسين
٧٦٥ اليابان والجامعة الاسيوية : الاستاذ محمد عبد الله عنان
٧٦٨ وادى حلفا : عبد الرحمن فهمى
٧٧٠ أثر الادب فى الحياة : محمد قدرى لطفى
٧٧١ حبل الابد فى الادب : أمين نخله
٧٧٢ تطور الفلسفة : على محمد راضى
٧٧٤ الأمل الضائع : فرحات عبد الخالق
٧٧٧ بين المعرى ودانتي : محمود النهري
٧٧٩ التصوير فى الشعر العربي : الاستاذ فخري ابو السعود
٧٨١ بديع الزمان الهمذاني : الدكتور عبد الوهاب عزام
٧٨٤ الى البحر (قصيدة) : للشاعر على محمود طه
٧٨٥ السائلة (قصيدة) امجد الطرابلسى
٧٨٥ أحي الربيع (قصيدة) : حسين شوق
٧٨٥ ليت قلبي (قصيدة) : عبد الرحمن رباح
٧٨٦ القلب الطريد (قصيدة) المنصور (نزيل القاهرة)
٧٨٧ الدوق دى لاروشفوكو : الدكتور حسن صادق
٧٩٠ بين الموسيقى الشرقية والغربية : مدحت عاصم
٧٩٢ ويسألونك عن الأهلة : الدكتور احمد زكى
٧٩٤ فى البحوث الروحية : الاستاذ عبد المغني على حسين
٧٩٦ شهر بالغردقة : الاستاذ الدمرداش محمد
٧٩٩ جولة فى ربوع الشرق الادنى (كتاب) : ز . ن . م
٨٠٠ التربية بالقصص (كتاب) : ز . ن . م

يوم الجمعـــة . . . .

كان أمس الأحد، ومن قبله كان السبت، ومن قبلهما كان يوم الجمعة! ثلاثة أيام تتعاقب فى مدار الأسبوع تعاقب الجياد فى مضمار السبق! يحمل كل منها فى رأسه علم دولته، وعلى صدره عنوان ملته، ويشرق على قومه فى المسجد أو فى الكنيس أو فى الكنيسة اشراق الحب فى الفؤاد الغرير، أو الايمان فى النفس الرضية، فيؤلف ما نفر من القلوب بالمودة، ويعود بما شرد من النفوس الى الجماعة؛ ثم يكون فى البيت مصدر أنس وبهجة، وفى المدينة مظهر استقلال وعزة. ولقد كان فيما سلف من مؤاتاة الدهر شأن يومنا فى الأيام، كشأن قومنا فى الاقوام: صدارة يكنفها جلال مُلك، وامارة يسندها سلطان دين، وعيد يأتلق جماله فى كل مكان وفى كل نفس، وفترة تحدد للناس مواقيت العيش ومراحل الزمن، وكان له فى أدب الدين قواعد مقررة، كالاغتسال، والطيب، واتخاذ الزينة، وشهود الجماعة، ومودة القربى، وصلة المساكين، وترفيه البدن بالراحة، وتطهير النفس بالعبادة، واعلان مجد الله باعزاز دينه، وسلطان الشعب

باعلاء امره؛ ولم يكن السبت والا حد يومئذ الاشعاع لضوئه، واتساعا لمداه!

ثم غيرنا فغيّر الله، فاذا بالتابع يأخذ المهلة على المتبوع، واذا يوم الجمعة يصبح طرفا فى ذيل الأسبوع، فلا تخشع له اسواق العالم كيوم السبت، ولا تسكن له حركة الدنيا كيوم الأحد، ولا يبقى له من الرعاية عند أهله، الا اغـلاق دور الحكومة فى وجهه!

* * *

استعرض هذه الأيام الثلاثة بالاعتبار والموازنة، تجد كلا منها صادق الدلالة على حال أهله! فيومنا يجىء كما ترى خافض الجناح، خافت الصوت، حائل اللون، مخضود الشوكة، مغموط الحق، لا يدخل فى حساب الناس، ولا يقدم ولا يؤخر فى حياة المجتمع!

فمظهره الدينى تضاءل حتى صار صلاة عادية لا يقيمها الا القرويون الطارئون على المدينة، والحضريون الفارغون من العمل!

ومظهره المدنى انحصر كما قلنا فى عطلة الحكومة. ومن المؤونة المعجزة أن تطلب العطلة وما يتبعها عند غير الحكومة، فان جمهور الشعب اما تاجر يتبع فى نظامه البنوك الأوربية، واما عامل يخضع فى عمله لرءوس الأموال الأجنبية، فلم يبق الا الموظفون الرسميون، وهم وحدهم الذين يستطيعون بما تهيأ لهم من اليسر والفراغ اجلال هذا المظهر، وإعلان هذه الشعيرة، فتعال ننظر كيف يقضى هذا العيد فى بيت الموظف

فى البيت الذى ألهمنى هذا المقال أسرة مسلمة عميدها موظف كبير، وأسرة يهودية كاسبها تاجر صغير، وأسرة مسيحية عائلها مستخدم متوسط.

ففى يوم السبت ينبعث فى المسكن اليهودى تاريخ اسرائيل بأساطيره وتقاليده وعقائده، فالتوراة تُتلى، والصلوات تُقضى، والذكريات تستيقظ، والمجارى الروحية تنحدر من الاجداد الى الاحفاد فتوثق الروابط، وتجدد القوى، وتُتهون العظائم، ثم تخرج الأسرة بأسرها، فى زينتها وبشرها، فتتناول عشاءها فى مطعم سامر، وتقضى أمسيتها فى ملهى ساهر

وفى يوم الأحد يحول المسكن المسيحى الى عرس أنيق مترف: فالأسرة تعود من القداس فى الوان الزهر وأفواف الوشى، والغُرف تضحك من طلاقة النفوس واتساق الأثاث، والمائدة المزهرة تحفل بأفانين الشراب السائغ والطعام الهنىء، والبيانُ الفخم تحت الأنامل الطّفلة يقطر بالنغم العذب واللحن البهيج، والفنغراف يدور بأناشيد الرقص فيمسى البهو بالزائرين والزائرات أشبه بأعشاش الربيع كلها مناغاة وهديل وهزج!

وفى يوم الجمعة يصبح المسكن المسلم عابسا كالكهف، ساكتا كالمقبرة!

فالبك قضى ليلة سهران، فهو نائم نومة الضحى! فلا تسمع حسا ولا حركة، الا صوتا شـديد الخفوت، يستعين بالاشارة على ان يهمس الحين بعد الحين:

— هس س س! خفّض من صوتك! خفف من مشيك! لا تلعب بهذا! لا تعبث بذاك! أبوك نائم!

والبك يأخذ حمامه الاسبوعى الحار فيشغل الحمام ساعتين! فتمضى الظهيرة والفتاة لا تستحم، والعجوز لا تتوضأ!

والبك مدعو الى العشاء، عند بعض الاصدقاء، فالمطبخ بارد هادىء، وطعام اليوم بقية طعام الأمس!

والبك يتهيأ للخروج، فالأسرة كلها فى خدمته: هذه تنظف البدلة، وتلك تمسح الطربوش، وهذا يذهب برباط الرقبة الى الكواء، وذلك يستعجل الخادم بالحذاء، وأخيرا يخرج البك! فيتنفس البيت الصعداء، ويستروح المكروب نسيم الرخاء!

وهكذا يمر عيد الاسبوع على هؤلاء القوم، وهم يقولون يالله ما أثقل روح هذا اليوم!!

احمد حسن الزيات

الضمير الهارب

للدكتور طه حسين

لم يكن صاحبي ساذجا ولا غليظ القلب طاهره كهذا الضابط الفرنسي الذي أظنك رأيته في دار من دور السينما ، يأتمر مع أصحابه ليغير النظام في فرنسا ويرد الى العرش ابن نابليون . فبينا هو ذات يوم يمشي على رصيف من أرصفة باريس لقي رفيقا من رفاقه في جيش الامبراطور . وكان العهد قد بعد بينهما فوقع اللقاء من نفس الرجلين موقعاً حسناً ، وتحدثا عن الجيش وعن الامبراطور ، وتحدثا عن أمس وعن غد ، ولم يكرها أن يذما يومهما ويسرفا في ذمه . ثم ذهب الصديقان إلى حيث كان الضابط يقيم ليتحدثا في حرية وأمن ودعة . وأخذ الضابط يحدث صاحبه عن أصدقائهما وماياتمرون به ، ثم ما زال الحديث ينتقل بهما من موضوع إلى موضوع حتى عرف الضابط أن صديقه لم يقم على عهد الامبراطور ، وانما آثر لين الحياة فعمل في جيش الملك . هنالك لم يستطع الضابط أن يلوم صاحبه ولا أن يعاتبه ، ولا أن يناقشه في شيء ، ولم يزد على أن اطفأ المصباح حتى لا يرى وجه هذا الصديق الخائن . وفهم الرجل عن صديقه فانصرف عنه خزيان آسفا .

لم يكن صاحبي ساذجا غليظ القلب طاهره كهذا الضابط الفرنسي ، وانما كان رجلا مترفا لا في حياته المادية ، بل في حياته المعنوية خاصة . كان مترف العقل جدا لا يكتفي بظواهر الأشياء ولا يقنع بحقائقها ، وانما يبتغي شيئا أرق من الظواهر وأعمق من الحقائق كأنه اللب والخلاصة لكل شيء . وهو اذا وصل الى هذه الخلاصة وذلك اللب لم يقنع بهما وانما تخير منهما أنقاهما وأرقاهما وأشدهما ملاءمة للعقل الممتاز ، والذوق الرفيع ، والشعور الراقي ، والنفس الأبية العالية . وكان صاحبي هذا قوي الحس جدا ، ولكنه كان شديد الازدراء للحس ، يضعه في موضعه الطبيعي فلا يكبره ولا يغلو في العناية به ، ولا ينتظر منه الا ما ينتظر من الاداة التي لا يراد منها الا ان تؤدي العمل الذي هيئت له ، فهو لا يريد من حسه الا ان ينقل اليه صور الحياة الخارجية ، فاذا نقلها اليه شغل بها فحقق ودقق ، ومحص وصفى ، وآثر نفسه بخلاصة ماينتهي اليه التحقيق والتدقيق والتمحيص والتصفية ، فغذى به عقله وقلبه وشعوره ؛ وفكر فيه فاطال التفكير ، واستخرج منه اقصى مايستطيع استخراجه من اللذة والألم ، ومن العبرة والعظة ، ومن الغبطة والحزن .

وكان صاحبي هذا بحكم هذا المزاج الخاص معقدا شديد التعقيد متعبا لنفسه ولأصحابه واصدقائه جميعا ، وكان كثيرا مايسأل نفسه عما يريد فلا يجد لهذا السؤال جوابا . وكان اصدقاؤه يسألونه عما يريد فلا يجدون لهذا السؤال جوابا . فلما استيأسوا منه اخذوا يسألون انفسهم عما يريد فلم يجدوا لهذا السؤال جوابا . فقبلوه على علاته ، واحبوه على ما في صحبته من مشقة وتعقيد . وكانت حياته وحياة أصحابه هينة لينة مستقيمة تمضي في طريق لاعوج فيها ولا التواء ، كما كانت حياة الناس كلهم في بعض اوقات الامن والدعة والهدوء ، فكان راضيا عن أصحابه ، وكان اصحابه راضين عنه . وكان مايعرض له ولهم من مصاعب الحياة ومشكلاتها لا يزيد على ان يكشفه لهم فيحببه اليهم ، ويكشفهم له فيحببهم اليه . ولكن هدوء الحياة ودعتها واضطراد الامن فيها واستقامة الطرق لسالكيها ليست امورا محتومة مقضية للناس او مقضية عليهم ، قد أخذوا بها عهدا على الظروف والايام . وانما هي أمور ممكنة تتاح حينا وتمتنع أحيانا ، تتاح فيسعد الناس ، وتمتنع فيشقى الناس . تتاح فيجهل بعض الناس بعضا ، ويحب بعض الناس بعضا ، ويطمئن بعض الناس الى بعض ، لان ظروف الحياة لا تكرههم على ان يدقق بعضهم في امتحان بعض ، ويحقق بعضهم في ابتلاء بعض . ثم تمتنع فاذا الناس يتعارفون ، ولا يلبثون ان يتعارفوا حتى يتناكروا ويتدابروا . ويقوم الشك منهم مقام اليقين ، ويقوم الحذر منهم مقام الاطمئنان ، وتقوم الفرق منهم مقام الصراحة ، ويقوم البغض منهم مقام الحب ، واذا هم يندمون على حطام القديم ، واذا هم يحزنون على اطمئنانهم الماضي ، وإذا هم يتمنون لو رد الله عليهم تلك الأيام الحلوة التي كانوا يستمتعون فيها بلذة الجهل وحلاوة الغفلة ونعيم الثقة ، وأعفاهم من هذه الأيام التي يشقون فيها بألم المعرفة ومرارة الفطنة وبؤس الشك .

وكان صاحبي قد فتح لنفسه الأبواب كلها على مصاريعها كلها ليتلقى كل شيء من كل شيء ومن كل انسان . ثم ليسعد بهذه التصفية والتنقية ، وبهذا التمحيص والتحقيق ، وبتخير الثمرات من كل ما كان يجتمع له من الجد والردى . فلما تنكرت الأيام لم يغلق من أبواب نفسه بابا ، وإنما نظر فاذا النفوس تغلق من دونه نفسا

فنفسا ، واذا أبوابها تغلق من دونه بابا فبابا . وإذا ما كان يجتمع له من الملاحظات يقل شيئا فشيئا ، ويندر حتى كاد لا يصبح شيئا . واذا ما بقى له من هذه النفوس القليلة التى ثبتت للمحن ، وامتنعت على الخطوب ، وأبت أن تلين قناتها للاحداث ، قد أخذ يغشاها من حين الى حين لون رقيق جدا من الحياء ، ثم من الغلو فى الحياء ، ثم من الأشفاق ، ثم من الاسراف فى الأشفاق ، ثم يتكاثف اللون ويتكاثف ، وتضاف طبقات منه الى طبقات حتى يصبح احتياطا وحذرا ، وحتى يستحيل الى حجاب كثيف صفيق لا تنفذ من دونه نفس الى نفس ، ولا ينتهى من دونه قلب إلى قلب ، ولا يتحدث من دونه ضمير الى ضمير ، واذا صاحبى يلقى أصحابه فلا يلقى منهم الا وجوها ، ويصافح أصحابه فلا يصافح منهم الا ايديا ، ويحدث أصحابه فلا يكون بينه وبينهم الا حركات الألسنة فى الأفواه ، وخروج الألفاظ من الشفاه ، وانتهاء الأصوات الى الآذان ، ثم وقوفها دون هذه الأبواب التى قد غلقت تغليقا ، وهذه الأستار التى قد اسدلت إسدالا ، على انه هو أيضا لم يكن أقل من أصحابه واحبائه تغليقا لابواب نفسه ، والقاء للحجب والاستار بينه وبينهم ، فقد آذاه ما رأى منهم كما آذاهم ما رأوا منه ، فكان منه هذا الحياء الذى كان منهم ، ثم أخذ هذا الحياء يتعقد فى نفسه كما كان يتعقد فى نفوسهم حتى أصبح اشفاقا ثم شكا ثم احتياطا وحذرا . ولكن حياء صاحبى لم يكن كحياء اصدقائه ، كانوا يستحون منه وكان يستحى لهم ، كانوا يشفقون منه وكان يشفق عليهم . كان يحذرون منه وكان يحـــذر عليهم ، ولكنه الحياء والاشفاق والحذر على كل حال . ولكنه تغليق الأبواب والقاء الأستار والحجب عـــلى كل حال . ولكنه انقطاع الاسباب وفساد الصلات على كل حال . ولكنها العزلة بين قوم لم يكونوا يستطيعون أن يعتزل بعضهم بعضا ، والفرقة بين قوم لم يكونوا يستطيعون ان ينعموا بالفراق ، ولكنه الرياء بين قوم لم يكونوا يحتملون الرياء ، ولكنه هذا الالم الممض الذى ينشأ عن الفراق والناس مجتمعون ، وعن البعد والناس متقاربون ، وعن القطيعة والناس متواصلون . ولكنه العذاب الذى يجده الناس حين يتحدثون بالسنتهم لا بقلوبهم ، وحين يسمعون بآذانهم لا بنفوسهم ، وحين تتصافح ايديهم وتتباعد بين ضمائرهم ونياتهم الآماد ، الا من الف منهم هذه الحياة واطمأن اليها ووجد فيها مثل ما كان يجد فى تلك الحياة من اللذة والراحة والنعيم لانه فارق اصدقاء فوجد مكانهم اصدقاء آخرين ، ونأى عن احباء فاستقر فى احباء آخرين.

هنالك نظر صاحبى الى نفسه ، فاذا هو قد اصبح اداة من الادوات تسعى مع النهار وتعود مع الليل ، تلقى الناس فتحدث اليهم وتسمع منهم دون أن تعقل ما يصدر عنها أو تذوق ما يصدر اليها من حديث . اداة تذهب وتجىء تتلقى آثارا من ادوات مثلها ، وتحدث آثارا فى ادوات مثلها ، ولكنها آثار ظاهرة آلية لا قوام لها ولا لذة فيها ولا اثر للحياة القوية العاقلة المفكرة فى مظاهرها ، انما هى اداة ممثلة لا اكثر ولا أقل . تعمل مع ادوات ممثلة لا أكثر ولا أقل . وكانت لصاحبى بقية من قوة فى النفس ، وفضل من حياة فى الضمير ، وأثر من حزم فى الارادة ، وقليل من ذلك الترف العقلى الذى كان يستمتع به ايام كان الناس ناسا ، وحين كانت الحياة حياة . فاكبر ما انتهت اليه اموره وامور اصحابه من هذه الصفة التى يجحد فيها الرجل نفسه ولا يؤمن فيها الا بغيره . أكبر ذلك وضاق به وأزمع أن يعتزل هذه البيئة التى لا يستطيع أن يكون فيها الا اداة مسخرة . ولكنه اعتزلها ولم يعتزلها ، قر فى داره وعاش بين أهله ، لم يسع الى أحد ولم يفكر فى لقاء أحد ، وكان يظن أن هذه العزلة ستغنيه وتحميه وترد اليه نفسه بريئة من النفاق معصومة من الفساد . ولكنه لم يلبث ان استيقن انه لم يصنع شيئا . فهو يعـــتزل الناس ولكن الناس لا يعـتزلونه ، يعرض عنهم فيقبلون عليه ، يقعد عنهم فيسعون اليه ، يكف عنهم حياءه لهم واشفاقه عليهم فيحملون اليه حياءهم منه ، واشفاقهم منه ، ويغلون فى ذلك يحسبون أنهم يخدعونه عن أنفسهم ، أو يحسبون أنهم يخدعون أنفسهم عن انفسهم . فلما استيأس صاحبى من نفع هذه العزلة ، واستيقن أنه لا أمل له فى أن يظفر بنفسه صافية وقلبه طاهرا ، وضميره حيا ، الا إن ترك البيئة كلها وهاجر من أرض الى أرض ، وارتحل عن وطن الى وطن ، أسر ذلك فى نفسه وأظهر لنا معشر أصدقائه المخادعين له ولانفسنا مثل ما كان يظهر من حسن اللقاء ولطف المؤانسة حين كنا نزوره ونجلس اليه . ثم سعيت اليه ذات يوم لاقضى معه ساعة من ساعات الفراغ ، وما أكثر ساعات الفراغ فى حياتنا نحن المصريين فلم أجده ، وسألت أين يمكن أن يكون فلم أدل عليه . وسألت متى يمكن أن يعود فلم أنبأ بشىء . فعدت محزونا لا لانى لم ألقه ، بل لانى لم القِ عليه ثقل ما كنت أحتمل من الضجر والضيق والفراغ ، ولانى لم القِ فى نفسه أنى أوثره بالحب ، واعتقد أنه يؤثرنى به . لانى لم أهد اليه شيئا من هذا الرياء الذى يهديه بعضنا الى بعض فى كل يوم ، ولم أتلق منه شيئا من هذا الرياء الذى

(البقية على صفحة ٨٠٠)

حوادث الشرق الأقصى

اليابان والجامعة الاسيوية

مبــدا مونرو اسيوى

للاستاذ محمد عبد الله عنان

منذ أسبوعين طلعت اليابان على العالم بتصريح فى منتهى الأهمية والخطورة. خلاصته: «ارفعوا أيديكم عن الصين»، وهو بعبارة أخرى إنذار من اليابان الى اوربا وامريكا بانها اصبحت تعتبر من واجبها أن تحمى الصين من كل محاولة جديدة اوربية او امريكية فى سبيل الفتح أو الاستعمار الاقتصادى، ومن حقها أن تستأثر بالتوسع السياسى او الاقتصادى فى انحاء الصين الشاسعة. ولاتخفى اليابان أنها جادة فى انذارها، وانها على أهبة لتأييده وتنفيذه بالقوة المادية، وفى نفس الوقت الذى تلقى فيه اليابان بهذا الانذار، نراها تقرر اعتمادات حربية ضخمة لتقوية اسطولها الجوى، وتقوم بعدة مظاهرات عسكرية أخرى.

وقد أثار هذا التصريح الجرىء فى جميع دوائر السياسة العليا دهشة عظيمة، ولاسيما فى الدول ذات النفوذ والمصالح فى الصين مثل بريطانيا العظمى وامريكا وروسيا وفرنسا وايطاليا. ولم يتضح حتى الآن موقف هذه الدول ازاء تلك الخطوة الجديدة التى تتخذها اليابان للحد من النفوذ الغربى فى الصين. ولكن اولئك الذين يتتبعون تصرفات السياسة اليابانية فى الصين فى الاعوام الثلاثة الأخيرة يدركون ان هذه الخطوة انما هى نتيجة طبيعية لهذه السياسة التى فازت منذ عامين بالاستيلاء على منشوريا ووضعها تحت الحماية اليابانية، والتى مازالت تتقدم فى سبيل التوسع فى الثغور والاراضى الصينية الشمالية والوسطى. واليابان تتخذ خطوتها وشئون السياسة الدولية فى منتهى الاضطراب والتعقيد، والدول العظمى كلها مشغولة بمشاكلها الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية، ومن الصعب عليها ان تتفاهم او تتفق بسرعة على اتخاذ خطة او سياسة مشتركة ضد هذه السياسة اليابانية الجديدة التى تهدد نفوذها ومصالحها فى الصين.

والنظرية اليابانية فى مقاومة التوسع الغربى فى الصين ترجع الى فكرة أهم وأبعد اثرا هى فكرة الجامعة الاسيوية، وشعارها «آسيا للآسيويين». وقد قويت هذه الفكرة بعد الحرب، حينما اشتد تنافس الدول الغربية على التوسع فى الصين واستطاعت روسيا السوفيتية وبريطانيا العظمى وأمريكا أن تتدخل فى شئون الصين تدخلا قويا مباشراً، وأن تبسط كل نفوذها على مناطق واسعة فى الصين، وحينما عمدت الدول فى كل مناسبة وفرصة إلى ارسال أساطيلها إلى المياه الصينية بحجة حماية مصالحها؛ ولما كان موقع اليابان الجغرافى فى شرق الصين، مشرفة على تلك المياه الصينية التى تغزوها الدول كلما شاءت، وكانت تبسط حمايتها ونفوذها على مساحات واسعة فى الصين، فى كوريا، ومنشوريا وشانطى، فقد كانت السياسة اليابانية تنظر دائماً إلى حركات الدول فى الصين بمنتهى التوجس والريب، وكانت تتلمس السبل دائما لمقاومة الاستعمار الاوربى والأمريكى. وكانت حركة «الجامعة الاسيوية» تزداد نشاطا وقوة، وخصوصا كلما اشتدت الصيحة فى أوربا وأمريكا بالتحذير من «الخطر الأصفر» أو بعبارة أخرى من نهوض الأمم الآسيوية. وقد عقد أول مؤتمر رسمى للجامعة الاسيوية فى ثغر ناجازاكى فى صيف سنة ١٩٢٦ وشهده مندوبون من اليابان والصين والهند وسيام وكوريا والفلبين، واستمرت السياسة اليابانية ترعى هذه الحركة وتغذيها مدى الاعوام الاخيرة، وقد عقد فى فبراير الماضى فى دايرن تحت رعاية الحكومة اليابانية مؤتمر «للشعوب الاسيوية» شهده مندوبون من الصين واليابان والهند وأفغانستان وسيام وبلاد الملايو وغيرها من البلاد الاسيوية. وأصدرت فيه قرارات بوجوب اتحاد الشعوب الاسيوية على العمل فى سبيل مصالحها المشتركة الجنسية والسياسية وتحريرها من كل تدخل أجنبى، وسيدعى مؤتمر دورى للجامعة الاسيوية. وربما كانت اليابان ترمى من وراء هذه الحركة إلى إنشاء عصبة أمم اسيوية لتأييد غايات الجامعة الاسيوية.

مبدأ مونرو اسيوى

ولهذا الانذار الذى تتقدم به اليابان الى الدول الغربية صبغة مزدوجة؛ فهو يعنى أولا ان اليابان ستقاوم منذ الآن فصاعداً كل محاولة

تقوم بها الدول الغربية فى سبيل التوسع فى الصين ، وثانيا أن اليابان ستكون مطلقة اليد فى الصين تحقق فيها ما شاءت من خطط التوسع والنفوذ . وللناحية الاولى سابقة تاريخية خطيرة فى السياسة الدولية هى مبدأ الرئيس مونرو (رئيس جمهورية الولايات المتحدة) ، الذى وضع منذ سنة ١٨٢٣ ليكون شعارا لسياسة امريكا الخارجية ؛ واليك نص هذا التصريح الشهير الذى تطبقه السياسة الامريكية منذ اكثر من قرن وذلك بعد الديباجة :

« إن القارتين الامريكيتين بحكم حالة التحرير التى احرزتاها والتى تحتفظان بها يجب الا تعتبرا منذ الآن فصاعدا قابلتين للاستعمار من جانب اية دولة أوربية ، وعلى ذلك فانا نعتبر فى المستقبل أى محاولة من جانب الدول الاوربية لبسط سلطانها السياسى على اية ناحية من نواحى هاتين القارتين خطرا على سلامتنا وسلامنا . نحن لم نتعرض لاى مستعمرة أو ملك قائم فيهما للدول الاوربية ولن نتعرض له ، ولكنا بالنسبة للحكومات التى اعلنت استقلالها وحافظت عليه واعترفنا نحن به لحق ذى اساس عادل ، لانستطيع أن نعتبر أى تغيير يرمى الى ارهاقها أو التحكم فى مصايرها الا بانه ميل عدائى نحو الولايات المتحدة . ذلك إنه يستحيل ان تبسط الدول المتحالفة نظامها السياسى فى أى بقعة من هذه القارة دون تهديد سلامنا وسعادتنا . كذلك لايستطيع انسان أن يعتقد أن اخواننا فى الجنوب اذا تركوا وشأنهم قد يقبلون هذه السياسة مختارين ، ومن ثم كان من المستحيل ان ننظر الى هذا التدخل فى ذرة من التهاون والاغضاء »

ويمكننا أن نلخص مبدأ مونرو فى كلمتين : « امريكا للامريكيين » أو « اتركوا امريكا » كما نستطيع ان نلخص الانذار اليابانى فى كلمتين « آسيا للاسيويين » او « اتركوا آسيا » ، مع هذا الفارق ، وهو أن اليابان تحدد بتصريحها منطقة معينة من آسيا هى الصين ، أو الشرق الاقصى بصفة عامة ، وقد فهم مبدأ مونرو فى امريكا وطبق خلال قرن من الناحية السلبية فقط . أعنى من ناحية مقاومة التدخل الأوربى ؛ ولكن السياسة الامريكية وضعت فى الاعوام الاخيرة تفسيرا جديداً لمبدأ مونرو ، وهو أنه الى جانب حق امريكا فى قمع أى تدخل أوربى ، يحق لامريكا ، وامريكا وحدها — أن تحتل أية بقعة من القارة الامريكية متى رأت ذلك ضروريا لصون سلامها ومصالحها ، وطبقت السياسة الامريكية ذلك التفسير الايجابى الجديد لمبدأ مونرو فى عدة حوادث معاصرة مثل تدخلها فى حوادث نيكاراجوا ، واحتلال بعض أراضيها ، وارغامها بناما على عقد معاهدة تعتبر شبه حماية ، ثم تدخلها أخيراً فى حوادث كوبا . وهذا هو نفس مايعنيه التصريح اليابانى من ناحيته الايجابية فاليابان ترى من حقها دون غيرها من الدول أن تستأثر بالتوسع فى الفتح والنفوذ فى الصين

وقد بدأت اليابان فعلا بتطبيق هذه السياسة منذ ثلاثة أعوام فوضعت خطتها للاستيلاء على منشوريا وتذرعت لذلك الفتح باعتداء العصابات الصينية على المنطقة اليابانية والسكة الحديدية الشرقية التى تضع يدها عليها واضطرارها الى حماية المصالح اليابانية والرعايا اليابانيين من ذلك الاعتداء الذى عجزت عن قمعه السلطات الصينية . وحوادث فتح اليابان لمنشوريا مازالت ماثلة فى الاذهان فلسنا بحاجة الى تفصيلها . غير أنا نذكر فى هذا المقام فقط أن اليابان أبدت منذ البداية عزمها على احتلال منشوريا وامتلاكها فعلا ، ولم تحفل بتدخل عصبة الامم تلبية لنداء الصين ، ولم تقف لحظة عند أى القرارات التى أصدرتها العصبة لحسم النزاع كانتداب لجنة للتحقيق ، والتوصية بوقف القتال ، واعادة الحالة الى ما كانت عليه ؛ بل لبثت اثناء اشتغال العصبة بهذه الازمة الخطيرة ماضية فى غزو منشوريا وافتتاحها حتى اتمت خطتها العسكرية ، واستخلصت اقليم منشوريا كله ، ثم انتهت بأن ضاقت ذرعا من تدخل عصبة الامم ، فانسحبت منها لتكون حرة مطلقة اليد والتصرف . ولم تقف اليابان عند افتتاح منشوريا بل هاجمت اثناء ذلك شنغهاى أعظم الثغور الصينية بحجة الاعتداء على بعض رعاياها واحتلته وكادت تنفذ إلى الداخل لولا ما أبدته الحكومة الوطنية الصينية من مقاومة شديدة وما أنذرت به الدول من التدخل ؛ ثم عادت فغزت اقليم شهلى شمال بكين ، واحتلت عدة من قواعده واجتازت السور الكبير . كل ذلك لترغم الصين على الاعتراف بمركزها فى منشوريا . وانتهت اليابان بأن جعلت منشوريا دولة جديدة باسم دولة « منشوكيو » ، وأقامت عليها هنرى بوبى امبراطور الصين المخلوع ، أولا رئيسا لجمهورية منشوكيو ثم امبراطوراً لها ، وتم بذلك استيلاء اليابان على أعظم الاقاليم الصينية الشمالية وأغناها ، فاذا ذكرنا أن اليابان تملك من أراضى الصين شبه جزيرة كوريا وثغر تيانتسين وما اليه ، وبورت أرثر وتسنج تاو ، وتحتل مناطق

كبيرة فى إقليم شانصى ، استطعنا أن نقدر الى أى حد بلغت اليابان فى توسعها فى الصين .

موقف الدول

وقد قلنا إن موقف الدول إزاء السياسة اليابانية الجديدة لم يتضح بعد ، ولم يتخذ بعد صبغة رسمية . ولكن الذى لا ريب فيه هو أن الدول التى لها فى مياه الشرق الاقصى وفى الصين مصالح عظيمة مثل أمريكا وبريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا ، ستقاوم هذه السياسة أشد مقاومة ، وليس بعيداً أن تلجأ الى الوسائل العنيفة اذا هددت أملاكها أو مصالحها ، وكما أن اليابان تقرن انذارها بالمظاهرات العسكرية وتقرير الاعتمادات الحربية الجديدة ، فكذلك نرى انكلترا تقوم بمظاهرة بحرية فى ثغر سنغافورة ، ويعقد أمراء البحر الانكليز هنالك اجتماعا خطيرا للنظر فى تعجيل الاعمال والاجراءات الخاصة باتمام قاعدة سنغافورة البحرية التى ستكون أعظم وأقوى قاعدة بحرية فى الشرق الاقصى ، ونرى أمريكا تقرر اعتمادات مالية ضخمة لبناء سفن جديدة ، وينتقل الاسطول الامريكى من مياه الاطلانطيق ويجوز قناة بناما إلى المحيط الهادىء فى أقل من يومين قياما بمظاهرة بحرية كبرى . وتحتج الدول ذات الشأن على لسان صحفها من الوجهة الدولية بالمعاهدات المعقودة بين اليابان والدول بشأن الصين ، وأخصها وأحدثها معاهدة الدول التسع التى عقدت على يد مؤتمر واشنطون سنة ١٩٢٢ بين الولايات المتحدة (أمريكا) وبريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا واليابان والصين وبلجيكا وهولندة والبرتغال ، وتنص هذه المعاهدة على احترام سيادة الصين واستقلالها ووحدتها الادارية والاقليمية ، وعلى معاونتها على النهوض والتقدم بكل الوسائل ، واستعمال الدول الموقعة لنفوذها فى تأييد مبدأ الفرص المتساوية فى النشاط التجارى والصناعى فى الصين لجميع الامم ، وعلى عدم انتهاز ظروف الصين للحصول على امتيازات خاصة ، ومعنى ذلك أن اليابان ليست حرة فى أن تحتل فى الصين مناطق جديدة ، أو تبسط نفوذها على مناطق جديدة ، وليست حرة بالاخص فى أن تستأثر وحدها بتنفيذ سياسة التوسع والاستعمار فى الصين ؛ هذا الا اذا كانت تعتبر المعاهدات الدولية قصاصات لاقيمة لها .

وهناك غير هذه الدول الموقعة لمعاهدة واشنطون ، روسيا السوفيتية ؛ وهى من أعظم الدول مصالح فى شمال الصين ، وأشدها اهتماما بسير السياسة اليابانية ، وروسيا تجاور اليابان فى منشوريا ، وتشترك معها فى امتلاك السكة الحديدية الصينية الشرقية ، وفى امتلاك جزيرة سغالين ، وتصطدم معها فى شئون ومصالح كثيرة وقد ساءت علائق اليابان وروسيا فى العهد الاخير بسبب استيلاء اليابان على منشوريا وانتزاعها القسم الروسى من السكة الحديدية الشرقية ، وتهديدها بذلك نفوذ الروسيا فى منغوليا ، وقد كان لروسيا فوق ذلك فى الصين الوسطى والجنوبية نفوذ عظيم منذ أعوام ، وكانت اليابان من أنشط الدول لمحاربته والقضاء عليه ، والخصومة الروسية اليابانية قديمة فى الشرق الاقصى ، وترجع بالاخص الى حرب سنة ١٩٠٤ التى هزمت فيها روسيا امام اليابان وفقدت بورت أرثر ثغرها الممتاز فى الصين ؛ وهى اليوم أشد ماتكون اضطراما . ولا تخفى حكومة موسكو انزعاجها من السياسة اليابانية الجديدة ، واستعدادها لمقاومتها وحماية النفوذ والمصالح الروسية فى الشرق الاقصى بكل ماوسعت .

موقف الصين

ثم هنالك الصين ، وهى المقصودة بتطبيق السياسة اليابانية الجديدة . وقد لبثت الصين مسرحا للفتن والحرب الاهلية زهاء ربع قرن ، والدول الغربية اثناء ذلك تعمل على انتهاز الفرص لتوسيع نفوذها ومصالحها ، واليابان تجاريها فى انتهاز الفرص . فلما اشتد التنافس بين الدول على استغلال الحوادث الصينية ، عقدت فيما بينها معاهدة واشنطون سنة ١٩٢٢ (معاهدة الدول التسع) لكى تضع حدا لهذا التنافس أو بعبارة أخرى لكى تنظمه ، وقطعت الصين بعد ذلك ستة اعوام أخرى فى غمار من الحروب الاهلية الطاحنة حتى قامت الحكومة الوطنية أخيرا (حكومة نانكين) لتوحد كلمة الصين الى حد ما ، ولتعمل على صون استقلال الصين والحد من التوسع الأجنبى . وقد بذلت الحكومة الوطنية فى هذا السبيل جهودا لابأس بها ، ولكن اختلاف الزعماء والقادة كان دائما يشل من هذه الجهود ، ويفتح الباب لدسائس الدول الأجنبية وعدوانها المستتر بصور وأساليب شتى ، ولوكان الانذار اليابانى متعلقا بوقوف اليابان فقط فى وجه المطامع الاجنبية فى الصين ، لما كان للصين كبير اعتراض عليه ؛ ولكن اليابان لاتقف كما قدمنا عند هذه الناحية السلبية من سياستها الجديدة ، وانما تقرنها بادعاء حق الاستئثار بالتوسع فى الصين ، وتقوم بتنفيذ هذه السياسة بطريقة فعلية منظمة منذ ثلاثة اعوام ، اعنى منذ غزوها لمنشوريا ، ومعنى ذلك

أن اليابان تريد أن تستأثر بفريستها ـ الصين ـ دون باقى الدول وان تترك هذه الفريسة امامها وجها لوجه ؛ وليس بعيداً أن تكون اليابان قد وضعت خطتها لافتتاح الصين كلها والاستيلاء عليها اقليما فاقليما ، وخوض معركة الحياة والمـــوت مع الغرب والاستعمار الغربى

ولا ريب أن الصين تكر هذه السياسة ايما انكار ، وسوف تقاومها بكل ما وسعت حسبما صرح به مندوبها لدى عصبة الامم وسفيرها فى لندن ، ولا ريب انها ستعتبر بهذا الخطر الجديد الذى يهدد كيانها واستقلالها فتعمل لتوحيد كلمتها وتنظيم قواها ؛ كذلك لاريب فى ان اليابان رغم قوتها ومنعتها وفيض مواردها ، تقدم على مغامرة كبيرة محفوفة بالصعاب والمخاطر ؛ ومن المشكوك فيه ان تستطيع اليابان ان تتحدى دول الغرب العظمى اذا اجتمعت كلمتها على مقاومة هذه السياسة ، هذا الى ما لابد أن تبذله الصين من الجهود الزاخرة للدفاع عن استقلالها وكيانها ؟

محمد عبد الله عنان

المحامى

وادى حلفـــا

بقلم عبد الرحمن فهمى

ليسانسيه فى الآداب

وادى حلفا عاصمة احدى مديريات السودان الكبرى ، وهى مديرية حلفا ، وهو ميناء نيلى تسير السفن البخارية الصغيرة بينه وبين الشلال تنقل المسافرين والبريد من مصر الى السودان ومنه اليها ، ويشعر الزائر المصرى للسودان عند ماتطأ قدمه ارض حلفا كأنه فى احدى مستعمرات التاج البريطانى ، ولا عجب فمنذ جلاء الجيش المصرى عام ١٩٢٤ تعمل السياسة البريطانية على أن تجعل من السودان منطقة انجليزية بحتة . وقد تلاشت المصرية أو كادت تتلاشى بعد أن كانت ظاهرة قوية فيه .

ووادى حلفا له مكانة خاصة لأنه كما قلت ميناء نيلى كبير ومركز للتجارة لا بأس به ، وهو فوق ذلك مدخل جمركى يفتش المسافرون وأمتعتهم فيـــه حتى لا تهرب بضائع معينة من السودان الى مصر . ثم هو الحد الذى يشعر عنده المصرى بشعور مؤلم هو شعور الفصل اللاطبيعى بين القطرين التوأمين .

وينقسم هذا البلد قسمين رئيسيين أحدهما « حلفا توفيق » نسبة الى مسجد كبير شيده الخديوى توفيق فى ميدان فسيح يتوسطه . والثانى « حلفا معسكر » نسبة الى معسكر الجيش المصرى الذى كان يعسكر فيه حتى سنة ١٩٢٤ .

وحلفا توفيق هو روح البلد ، ففيه الميناء المشغول بالحركة الدائمة ، ولا سيما عند وصول البريد اليه من الشلال وعند قيامه منه اليه ويحصل ذلك أربع مرات فى كل أسبوع ، وفيه محطة السكة الحديدية ومكتب البريد والبرق وبناء المديرية والمستشفى ودار الشرطة والمحكمة ومكتب الجمرك والرى المصرى ، وفيه المحال التجارية والمقاهى والفندق وتوكيل لبعض الشركات كشركة كوك وسنجر .

والدور فيه ذوات طابق واحد وفناءات فسيحة الا بعض الدور القلائل ذات الطابقين على ضفة النيل يؤجرها ملاكها الوطنيون الى بعض الموظفين المصريين والسوريين .

وحلفا معسكر ، قسم صاخب بالنهار فى ناحية من نواحيه حيث توجد (الورشة) ففيه تسمع صوت المطرقة وآلات التصليح والنجارة والحدادة وغيرها . أما منذ الأصيل فهو هادىء ، وهو بخلاف القسم الأول ملآن بالدور الفخمة ، وأفخم هذه الدور هى التى يسكنها البريطانيون ، فهى مزدانة بالشجر والزهر والثمر ، تطل نوافذها على النيل ، ومنها تستطيع أن تمتع الطرف بمياهه الجارية كأنها السلسبيل ، وبالشجيرات على ضفتيه نضراء . وقد تجمعت فى مكان وتفرقت فى آخر ، فكأنها الزبرجد مسكوبا ، وكأنك تستمد الحياة من منبع الحياة .

ويتوسط القسمين متنزه جميل فرشت أرضه بالبرسيم المورق قامت عليه الشجيرات النضراء المختلفة كأنها الحراس الا أنها تغفل دائماً عن المنجل يحصده غالبا . وزين بالزهور المختلفة الألوان والأنواع تحملها جذور وسيقان ، ويدار الحاكى فيه مرة فى مساء كل جمعة . ولعل (الراديو) حل محله اليوم

ويؤلف البريطانيون فيه كتلة متحدة غير مختلطة بغيرها من الأجناس الأخرى ، اللهم إلا الاختلاط الذى يوجبه العمل ، وهو مخالطة الرؤساء لمرؤوسيهم ، يلمحون بالطلب فيلبى ، ويعطون الاشارة فتنفذ ، ويلقون الأمر فيطاع . أما فى أوقات فراغهم فهم يريضون أجسادهم بركوب الخيل ولعب « التنس » و « الجولف »

وغير ذلك ، والمساء يقضونه فى المسامرة والمنادمة بين الكأس الرحيق والرقص الرشيق .

والمصريون فى وادى حلفا الآن كما هم فى غيره من بلدان السودان : أقلية ينظر اليها أولو الأمر فيه نظرة حذر ، ويكادون يكونون تحت مراقبة دقيقة لأنهم متهمون ببث روح التمرد وماهم كذلك ، وما الحركة التى قامت فى سنة ١٩٢٤ فى السودان إلا فورة وطنية قام بها الوطنيون قبل غيرهم كما تقوم أية جماعة فى أى بلد بحركة يرجون بها غرضاً معينا ، وما أظن الاتهام الذى يوجهه أولو الأمر فى السودان الى المصريين فى هذا الشأن إلا ستاراً لسياسة موضوعة لقصد معين .

ولكن الروح التى تربط المصرى والسودانى لا تزال قائمة ولن تزول — وهى روح وطنية — ، لأنهما يريان فى النيل أباً مشتركا بينهما ، وهى روح جنسية ، لأن المصرى والسودانى هما مزيج من جنس البحر الأبيض والجنس الحامى ، ثم هى روح لغوية لأنهما يتكلمان العربية ، وهى روح دينية لأنهما إما مسلم وإما قبطى ، وهى أخيراً روح لا يمكن نزعها من جسم أحدهما دون أن يموت الآخر .

والوطنيون هم البربريون الحلفاويون ، لهم رطانة يتكلمون بها فيما بينهم ، إلا أنهم جميعاً يعرفون العربية ، وكثير منهم ملمون باللغة الانجليزية ، ويمتازون من السودانيين بالذكاء والنشاط ، أعرف منهم قاضيا فى إحدى محاكم مصر الأهليـــة ، وعالما دينيا ، وموظفين أكفاء ، وتجاراً قديرين .

والمولدون وهم مزيج من المصرى أو التركى ومن السودانى ، ثم السودانيون والعبيد .

ويشتغل الوطنيون بالزراعة فوق اشتغالهم بالتجارة ، زراعة مساحات ضئيلة ، بالخضر والنخيل ، والبلح أهم الحاصلات .

أما العبيد فمنهم عمال يحملون طرود البريد وأمتعة المسافرين ، ومنهم مكاريون ينقلون الأثقال على حميرهم ، ومنهم السقاءون يحملون الماء الى الدور بصفائحهم وقربهم .

* * *

تتألف الحكومة فى مديرية حلفا كما هو الحال فى أى مديرية أخرى من مديريات السودان : من المدير وينوب عن الحاكم العام للسودان فى مديريته ، وهو بريطانى له سلطة شبه مطلقة ، ويعاونه المفتش وهو أيضاً انجليزى يحل محله فى غيابه ، وتنظر دار المديرية فى أحوال الناس القضائية : الأهلية منها والشرعية ، وفى جباية الأموال والمحافظة على الصحة

ويسهر على الامن رجال الشرطة ومقرهم (الضابطية) أو دار الشرطة ، وهم رجال أشداء يلبسون عمامة كاكية أو بيضاء كبيرة وقميصا من الصوف الأصفر وسروالا ونعالا ، يشبهون فى ذلك رجال الهجانة فى مصر ويعاونهم حراس نظاميون فى الليل .

وعلى رأس دار الشرطة المأمور وله نائب ، وكلاهما سودانى ، ولكل قرية عمدتها وشيوخها ، تؤلف منهم محكمة قروية تعدل بين الناس .

وقد حل الوطنيون محل معظم الموظفين المصريين فى كافة أقسام المصالح ، وهم خريجو كلية غوردون بالخرطوم يلتحق بها التلميذ بعد أن يتم العلوم الابتدائية ويقضى بها ثلاثة أعوام يتخصص خلالها فى أحد أقسامها ، أذكر منها قسم المعلمين والترجمة والهندسة ، ويشترط فى طالب الكلية أن يكون سودانيا .

ويفضل أولو الأمر أن يلبس الموظفون الزى الوطنى اثناء العمل ، وهو رداء من نسيج أبيض وعمامة بيضاء ومركوب أحمر ، ويحثونهم على أن يفضلوه على اللباس المصرى .

وتقام حفلات رسمية فى كل عام : أهمها عيد الميلاد السنوى ، والعيـد النبوى الكريم ، وعيد ملك الانجليز ، وعيدا الفطر والاضحى ، وتدعو الحكومة كبار الموظفين والتجار والوطنيين الى عيد رأس السنة ، وعيد ميلاد ملك الانجليز فى حفل رسمى ، وتتولى لجنة من الوطنيين دعوة الموظفين البريطانيين وعقيلاتهم الى الاحتفال بالاعياد الأخرى ، وابهجها الاحتفال بالمولد النبوى ، اذ تقام سرادقات مختلفة عديدة على ميدان فسيح يضاء بمصابيح الكهرباء القوية الملونة ، ويحى ليالى هذا المولد شيوخ يستأجرون من احدى مديريات الوجه القبلى وتدار على المدعوين المرطبات ولفائف الطباق

وبعد أن يستمع المدير ورفاقه قليلا من المديح النبوى ينهضون الى انحاء السرادقات متنقلين بين أقسامها متفرجين على حلقات الذكر والرقص الوطنى ، وفى كل حلقة توزع الدراهم على بعض الذاكرين والراقصين . والنقود المتداولة فى السودان هى النقود المصرية باقسامها والاسترلينى والشلن والشلنين من النقود الانجليزية .

وكان وادى حلفا منفى للزعماء السودانيين المرغوب عنهم من الحكومة أمثال عثمان دقنه وقد مات بها . وما زال منفيا بها زعيم آخر هو ولد عبد الكريم ينتمى الى المهدى بصلة القرابة وقد زرته منذ خمس سنوات فوجدته هرما ولكنه قوى .

وبالوادى مكان معد لنزول الطيارات التى تطير بين أوروبا وأفريقية عن طريق مصر والسودان .

عبد الرحمن فهمي

أثر الادب فى الحياة

بقلم محمد قدرى لطفى

ليسانسيه فى الآداب

تؤلف فى الأدب كتب ، وتنشأ له صحف ، وتقام له جماعات ، وتشيد من اجله جامعات ، وتعرف به رجال ، فأى اثر لهذا الأدب فى الحياة ، وأى وظيفة يؤديها لهذا المجتمع الذى غلبت عليه المادة ولم تلق فيه المعنويات مايجب لها من عناية وتقدير ؟

ان للأدب عناصر يتركب منها ، اساسها تلك العواطف التى تستولى على المرء فتحرك نفسه وتهتز لها يراعته فتدون على صفحة القرطاس تلك الحركات النفسية ، وتصورها على قدر شدتها او خفتها ، فاذا عرضت على الناس حركت فيهم نفس الشعور واحيت منهم نفس العاطفة

وكم فى هذه الحياة من نفوس دقيقة الحس صادقة الشعور تحركها شؤون الحياة وتهزها صروف الدهر ، هى نفوس ادبية تحس فى صمت ، وتشعر فى سكون . ولكن اصحابها فقدوا اداة الأدب وأعوزتهم المقدرة على التعبير عما يحسون فى أسلوب جميل اخاذ ، وبهذه المقدرة الفنية يتميز الأدباء من غيرهم من ذوى الحس الدقيق والشعور الصادق . فالحياة تذيقنا جميعا حلوها ومرها ، ونلق منها جميعا مانحزن له أحيانا ونطرب له حينا ، وهى تعرض علينا من ألوانها الزاهى البهيج والقاتم الحزين . والأديب منا من شرح حسه فأجاد الشرح ، وصور لنا عواطفه فأحسن التصوير ، واذن فليتعز المحزون العاجز عن بث حزنه بنفثات الأديب المحزون ، وليحث البائس الذى لم يسعفه بيانه عما يسليه ويذهب ببعض آلامه فى سطور الأديب البائس ، وليقرأ المحب الذى أحب فأخلص ، واخلص فتفانى فى أخلاصه ، ولكنه كان اعجز من ان يسمعنا حديث قلبه وينقل الينا اسرار نفسه وخفى حسه ، أقول ليقرأ ذلك المحب العاجز ما كتب المحب الأديب ، فسيجد بين السطور نفسه مرسومة ، وسيلمح فى ثنايا العبارات عواطفه مصورة ، فلست اعرف بين العواطف الانسانية عاطفة تشترك فيها القلوب جميعا ، وينطبق مايقال عنها على الناس جميعا ، كعاطفة الحب الخالص المتين . ألست ترى الانشودة يغنيها المحب شاكيا او باكيا ، فيعدها غيره صدى نفسه وترجمان حسه ؟ واذن فالأدب ضرورة من ضرورات الحياة وعنصر هام من عناصر العيش ، فيه فرح الحزين ، وسلوى المحب ، وعزاء المحزون . وليست مع العزاء مصيبة . ان الأدب هو نتاج العواطف الشريفة وثمار الاحساس الجميل ، ولن تجد كثمرة العاطفة فى حديقة الحياة .

نظرة الى هذا العالم تنبئك عن قدر الأدب بين الأحياء ، فكل من فيه مآله آخر يومه الى الراحة والسكون ، والمرء مهما كد وجد فلابد له من سويعات تقر فيها نفسه ، ويخلد فيها الى السكون جسمه ، وعندئذ فلن يجد أشهى من ثمرات القرائح والنفوس يقطفها من صفحات كتاب . ولن يجد أحلى من زهر العواطف تفوح رائحته من ثنايا النثر او الشعر . ولن اقول أى نثر او أى شعر ، فلكل ذوقه ولكل مايؤثر ، وهى بضاعة من نتاج القرائح معروضة ، فليأخذ منها كل ما يلائم حسه ، ويصادف هوى نفسه .

وتريد ان تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين أثره فى الناس . اذن فانظر الى رجل ليس يقرأ الا قصيدة قد حوت رائع اللفظ وساحر المعنى ، وليس يطالع الا فى كتاب قد تضمن من الحديث اعذبه واحلاه ، ومن القصص أحسنه واشهاه ، فيه شجون وفيه احزان ، وفيه شكوى وفيه غرام ، وفيه عاطفة حارة وحس جميل ، وفيه وصف رائع وشعور صادق نبيل ، ثم استمع اليه يحدثك فستجد عقلا مصقولا ونفسا مهذبة ، اثرت فيها هذه الآداب فرققت حواشيها ، وعملت فيها تلك القراءات فارهفت حسها وهذبت نواحيها . وهل اجل فى الحياة من نفس مهذبة وعقل صقيل ؟ وهل ادعى الى حياة الامم ورقيها من نفوس ابنائها وقد طبعت على كل حسن جميل ؟ وهل مثل الأدب مقوم للطبع ومهذب للنفس ؟

وتريد أن تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين أثره فى الناس ؟

إذن فتصور شعبا ينصت الى نشيده الوطنى وقد دبجته يراعة اديب قدير فحوى من معانى الوطنية ارفعها واسماها ، وحرك من نفوس الناس اشرف العواطف وارق درجات الشعور ، فتحفزت نفوسهم واستعذبوا الموت فى سبيل الوطن .

وللأدب بعد ذلك ناحية عامة لاتقل شأنا عن تهذيب النفوس وصقل العقول واحياء العواطف السامية فى القلوب ، فأدب الأمة صفحة صادقة من تاريخها كتبتها طائفة من ابنائها فلم تتحيز ولم تظلم ، وانما دونت فيها شعورها الخالص وحسها الصادق . ولذا عنيت ارقى الأمم بالآداب واحلتها المحل اللائق بها ، وانزلت أهلها المنزلة التى تتفق وما لآثارهم الادبية من قيمة فى الحياة . فلولا الأدب لكانت حياتنا جافة لاتحتمل ، وعبئا ثقيلا لا يطاق .

الاسكندرية **محمد قدرى لطفى**

حبل الأبد فى الأدب

بقلم امين نخله

فى كفة الغروب أمس ، بعد أن مال ميزان النهار ، وغشى السواد الشفق ، كنت أسألهم ألا يوقدوا المصباح فى وجه الليل . بل ندع العتمة تتساقط على مهل وتتلبد ، حتى إذا غمر السواد الجهات ، غرق عبث الحياة فى الليل ، وسلم الأمر . . . وهل مطلبى من الحياة غير هذا ؟ !

ثم أشرف من النافذة ، فإذا المدينة قطعة واحدة فى جوف الليل . خفى الشتات ، وتألفت الدقائق ، ومسح على الفضول . فلست أرى مايتعالى فى المشهد الأسود المنطرح إلا ذؤابات الأبنية تشمخ ، وكأن بعضها فى رأى العين يمشى الى بعض ، فتتلاقى وتتساند بعد البياض الفانى ، والعبث المولى !

وهذا قمر الليل ، يقهقه بلا صوت . . . ولقد جنح الى المنحدر الآخر ، كأنما يزلق من هنالك ، فتدفق الفضة دفقاً ، غير العهد بها فى مقاطر الصحو الأزرق ، حين تنقط ولا تبل الأرض !

والليل فهرس البياض المنطفىء ، ترى فيه العناوين ، وعفاء على الحروف الضئال ، والتنقيط المنمنم فى كتاب النهار . فالعمود البعيد القائم الساعة ناحية الجنوب ، ولا أتبين ماحواليه ، عنوان طويل لبناية المسجد ، ولقد خفيت المقالة وسلم العنوان . . .

* * *

وإننا فى الأدب على أعقاب جيل مال ميزانه ، وطفقت العتمة تتساقط عليه ، فعما قليل تغمر نوافله ، وتبتلع توافهه . ولا يسلم منه فى الغرق الأعظم إلا العناوين الجديرة بالسلامة ! ويسلم القمر ذو القرص الباقى ، والشعاع المجدد

كنا فى (الباروك) (١) - فى مطلع الصبى - نجول بالضاحية ، حيث كان (لامرتين) يهبط الخضرة والنوء على الينابيع . أو نصعد فى الهضبات حيث مر جواد (أبى الطيب) . . . (وعقاب لبنان وكيف بقطعها) . فيقول واحدنا للرفقة :

- ترى أى شىء من هذا الريف لفت صاحبنا ؟ ! !

وكنا بعد لم نتعلم التريث فى الجواب ، فتطلق الاجوبة فى الرفقة كما يهتاج العش ! فالطاحون الذى يهدر حتى آخر الابد عند الشجر ، كأنما يهوم للجمال الاخضر فينعس وينام ، قد افتتن به (لامرتين) ولا ريب ! وافتتن بالبحيرات الصغيرة التى يبسطها النهر بين مرجين حين يتمهل — وهى لا تبرح الى اليوم تنتظر (صاحب البحيرة !) وبدرب النهر ساعة تحدر الفلاحات بالجرار الحمراء فى العشايا ، ويسلن فوجا غب فوج ، فيغدو الدرب نهراً للاحاديث والغبطة يدفق من الضيعة إلى الوادى . . .

أما (أبو الطيب) وهو لم يعرج على الباروك فى (وعقاب لبنان وكيف بقطعها) فقد كان حسبنا منه ، أن يلتفت فى رأس الجبل إلى خيمة الناطور التى تتلاقى عليها عيون القرويين من كل حقل . فيثنى رأس جواده ، ويطل من شاهق — وهو الشتاء (٢) — على البساط الابيض الذى نقيم عليه أيام الثلج فى (الباروك) !

كذلك كنا فى الصبى الأول ، نحسب الدنيا تبتدىء . ويخيل الينا أن (لامرتين) كان عندنا أول أمس ، وكان (أبو الطيب) أول من أمس . وأن خيمة الناطور تلك ، وطاحون الوادى ، ودرب النهر ، معالم ثابتة على الزمن ، يذهابها ذهاب الباروك والينابيع

(١) قرية فى لبنان ولد بها الكاتب .

(٢) بيت أبى الطيب :

وعقاب لبنان وكيف بقطعها — وهو الشتاء — وصيفهن شتاء

والربوات والشجر وهاتيك الدنيا الصغيرة !! فلما كبرنا عن الصبي وكبرت الدنيا وصغرت (الباروك) — وكانت خيمة الناطور قد سقطت وانهد الطاحون ، وعفت الدروب على النهر — لم يذهب من القرية شيء ! بل ظلت لنا (الباروك) قرية بنهر وجبل وضاحية ، كما كان عهدنا بها أول العمر . ذهب النافل من ذلك الجمال الباروكي في غرق الأيام وعتمة السواد ، وسلم ما ينبغي له . فلو مر جواد (أبي الطيب) في رأس الجبل لتناه راكبه ، ووقف يتلفت ! ولو نزل (لامرتين) بين البحيرات والدروب لآنس نعيما وظلا واخضراراً !!

* * *

هكذا نقول لاصحابنا في مشادة العبث بين (القديم والجديد) ، فالزمن يمسح النافل ، ويبقى على المتحتم النافع . وليس في الادب قديم ولا جديد ، بل الأدب كد على الحق ، ووله بالجمال . تسقط عتمة الآباد الف مرة على الصنيع الفني الذي غمس بألوان الوله والكد وهو السالم الباقي لا يأخذ الليل منه حرفا !

فالحسن حسن على كل جيل . والتافه تافه أبداً . ما أخر القدم قيد شبر ، ولا قدمت الجدة قلامة ظفر

ولقد سبقنا الى الدنيا ، وجاءها اناس كلفوا بالجمال والحق . وداروا على اللباب في الدروب . فآنسوا ناراً ثم ألفوها ونزلوا رماداً . فكيف يسوغ لنا ، ونحن في الدرب من ورائهم ، أن نقطع ما بيننا وبينهم ، ويقال أدب قديم وأدب جديد ؟؟!

ان الكدح القاسي في صعيد الفكر ، والتضحية السمحة على مذبح (فينيس) ، والتنقيب في بياض الصحيفة عن الدنا المنحجبة ، كل هذه عرفها الرصيف القديم (بين الدخول فحومل . . .) . .

فطلب البلاغ الحر ، وقلب النسق في الصنيع الفني ، وابدال الوانه وصبه على شكيلة الحياة القائمة كانت في وكد الاساتذة السالفين جيلا تلو جيل . وهكذا يقال في شيوع الخاطر من المستهل الى المقطع ، وفي تماسك الحسن الذي لا يبذل للنور نفسه ، وفي الميسم المطبوع والنفس الخاص ، وفي المعنى الذي يسكن المبنى ولا يمد ساقيه على بحبوحة اللفظ — ذلك كله كان من اغراض الاساطين فيهم ، يوفقون اليه حينا وينكصون عنه حينا . فليس الادب ابن يومه ، ما خطرت مطالب الحياة منه على بال احد في الزمن لتقوم الضجة علينا ، ويتنادوا بالويل بعد ان أردنا الأدب حياة وقوة وخفق جناح . . وأطفأنا الشمس باكفنا ! ! !

وعندي أن الاساتذة الموتى الذين سلكوا السبيل قبلنا — وكأنهم مضوا ليفسحوا لنا المواضع — من حقهم أن يطرقوا خواطرنا ، وأن يرشفوا قليلا من الحياة في الفاظنا . فهم ، رحمهم الله ، لم يبق لهم من سبيل الى الضياء الا هذه الحروف التي تشع فيها خواطرنا

هذا حبل الابد هيهات أن ينقطع . والأدب بشرى قبل كل شيء ، فليس في استطاعة أحد أن يقطع الحبل ! والأدب أخو الحياة لا قديم فيه ولا جديد ، بل هو وله بالجمال وكد على الحق ، وما عداهما فهراء ! ؟

لبنان — أمين نخله

تطور الفلسفة

بقلم علي محمد راضي

ليسانسيه في التربية والآداب

الإنسان المدرك رأس هذه الخليقة التي تدرجت نحو استكمال نموها حتى تمخضت عنه . ومتى ادرك ماحوله اعمل فكره في تعليل ما يرى ورجع الى نفسه يبحث انفعالاتها وآثار ارادتها ، فهو اذن فيلسوف بطبيعته ، ومدفوع للتفكير بحكم وجوده وعمل حواسه وعقله

واذا عنى الباحثون بدراسة الحفريات لنوع واحد من الكائنات ليصلوا الى مقدار تطور حياته فما أولى طلاب العلم أن يصلوا بين حلقات تفكير الانسان منذ سكناه الكهف وصيده الوحش لاستخدامه الكهرباء واكتشافه مغناطيسية الحياة

الطبيعة والانسان متلازمان ، وبينهما أوثق الروابط . . هي معلمته التي تلقى عنها أول دروسه ، وهي موضع بحثه منذ اللحظة الأولى لوجوده ، يكافحها مرة فتتسع دائرة مجهوده وتفكيره ، ويستخدمها مرة فيبني صرح تقدمه وعظمته . ولكنها ضنينة باسرارها ، وهذا ما يبعثه على اعمال الفكر في تعليل مظاهرها وتكليف نفسه مشقة البحث عن أصل وجودها وعلة استمرارها

أبصر من مظاهر الطبيعة مالم يساعده عقله « الطفل » على فهمها ، وعجز عن التعرف على أسبابها ، فأحال صدورها الى قوى لايدركها تماما ، وما دامت لاتخضع لارادته فهي اقوى منه واشد

بطشا ، ولذا أعتقد بالارواح الساكنة فى الغابات ، وقدم للآلهة المتعددة القرابين ليبعد بها عن نفسه غضبها ، بل واعتقد بتجسد هذه الأرواح فى بعض الكائنات الحية . وكان اليونانى يعتقد باله الحب والقوة والجبال والماء والأرض ، ولا يزال الهندوس يقدسون البقر ، وبعض أهالى فارس يوقدون النار ليطردوا إله الظلام ويساعدوا إله النور . وعليه فالعقيدة هى محور الفلسفة الأولى الذى دارت حوله ، وطبيعى ان يلجأ الانسان وهو منزعج الحواس بما يكتنفه من هزيم الرعد ووميض البرق وانبثاق الحمم المستعرة إلى الاعتقاد بوجوب التقرب والخضوع للقوة التى تصدر عنها . . أنه بذلك يدرأ عن نفسه غضبها ، وتهدأ وساوس نفسه وشكوكه

ولكن لم يقف تفكير الانسان عند هذا الحد الذى تسلط فيه عليه الوهم ، بل جعل يفكر فى منشأ هذا الكون . . . والعالم فى نظره الأرض التى يعيش على سطحها ، والشمس التى تمده بنورها ، والقمر والكواكب التى تلتمع كلما جن الليل ، فقال بوجود العناصر الأربعة « التراب . والماء . والهواء . والنار . » ثم تدرج إلى القول بوجود عنصر واحد هو الماء ، ثم عدل عنه الى الهواء لأنه أبسطها واسرعها انتشارا . ولعل هذا هو اساس الاعتقاد بالسديم الذى لا يخرج عن كونه غازا ملتهبا متحركا حول مركز جذبه . . واليوم يؤمن الانسان بوجود الأثير ، ولم يصل بعد الى تعرف طبيعته ويضطر لافتراض وجوده ليعلل حدوث الاهتزازات والتموجات التى تنشأ عنها القوى المحركة والمرتبة للجزئيات الترتيب الذى يجعلنا نرى المادة فى أوضاع واشكال مختلفة

واخيرا قام مذهب المعتقدين بوجود وحدات كهربائية (الكترونات) تتحرك بواسطة التجاذب الذرى ، وأن الكهربائية نفسها مؤلفة من ذرات . وقد قاد الانسان إلى بحث سر الطبيعة ما اودع فى نفسه من كلف بكشف كل ما يغمض عليه فهمه أو تعليله . . وقد اداه هذا الشغف الى التفكير فى أمر نفسه لا من حيث الاحتفاظ بوجوده وسد حاجاته الضرورية ، ولكن من ناحية فلسفية أدق ووجهة اكثر تعقيدا . .

يشعر الانسان بوجوده بطريق يقينى ، وهذا اصل معرفته ، ولكنه لم يدرك كيف تقوم معرفته لما يحيط به ، وكيف يفكر ؟ وما هى القوة الباطنة التى تؤثر فيه وتوجهه الى حيث تريد ؟ . .

الى هنا طويت صحيفة الفلسفة الطبيعية التى أضاع وقته فى خلق فروضها طاليس وانكسمندر وانكسمينس . . وبدأ طور جديد تدور أبحاثه على الانسان نفسه ، ويعتبر الواضع للأساس الجديد سقراط زعيم فلاسفة اليونان وتلميذه افلاطون . . ولكنهما لم يتعرضا لتحليل العقل الانسانى باعتباره القوة المدركة ، ولم يذكرا لنا شيئا عن ماهية النفس الانسانية وقصرا بحثهما على اعمال الانسان ووجوب مطابقتها لما هو حق وعدل وخير . . صحيح أن افلاطون كان يقول بقدم المادة ، ولكنه كان يعلل عملية الأدراك بوجود صورة سابقة فى النفس للكائنات الموجودة ، فهو القائل بوجود عالم العقل وعالم الحس .

والحقيقة أن دراسة الفلسفة الانسانية من الناحية التى عنى بها المعلمون الثلاثة « سقراط وأفلاطون وأرسطو » تنطبق على مباحث علم الأخلاق أكثر من مباحث الفلسفة نفسها ، ولهذا كان غرض أقطاب الفلسفة الحديثة إتمام النقص الذى ظل موجوداً بعد الفلسفة اليونانية .

ومباحث الفلسفة الحديثة تتم الفلسفة الانسانية من حيث تحليل الحركة الفكرية ، وعلاقة الجسم بالعقل ، وقدرة العقل على فهم الحقائق ، وحركة الفكر الذاتية « التأمل » ، ثم بحث النفس الانسانية وهل لها وجود مستقل أو هى نتيجة لاتحاد القوى المدركة بالقوى المفكرة فى الانسان ؟

ولما كانت هذه المباحث من المعضلات العويصة الحل اتخذ كل فريق من الفلاسفة لحلها طريقاً خاصا ، ففريق اعتمد على العقل وحده فانهدم صرح العقائد الموروثة ، وعاد العقل يزنها بمقياس الاستقلال الفكرى مستعينا بقوانين المنطق ، ولكن التوى على جماعة العقليين قصدهم لان العقل بدأ يبحث نفسه ، وتطرق الشك الى كيفية حدوث الادراك ، واذ ذاك لم يجد الباحثون بدا من الالتجاء الى الحواس والاعتراف بأنها طريق الادراك ، وهذا أساس المذهب « التجريبى » ، ومع ذلك قام من يثبت أن الحواس تقوم بعمل ميكانيكى ، وان المخ فى دائرة عمله فى الحكم على ما تحمله اليه الحواس قاصر ، وان هناك بجانبه وجدانا له انفعالات خاصة لا دخل للحواس ولا للعمل الفكرى فى احداثها . ولذا قسموا العقل فقالوا بالعقل المدرك والعقل الملهم أو الخالص

ويطول البحث اذا أتينا على حجج كل فريق ، ولكن مما لا شك فيه أن للنفس البشرية وجودا مستقلا وارادة خاصة غير ما

تبعثه فيها البواعث الخارجية ويصل اليها من طريق الحواس

والذى يهمنا أن الفلسفة تحولت من أعمال الانسان الى أفكاره ومن تفكيره الى ماهية نفسه . وهذا آخر مدى وصلت اليه الفلسفة الانسانية .

واليوم تقوم فلسفة أخرى تبحث النوعين الرئيسيين « الفلسفة الطبيعية والانسانية » لا على انهما منفصلان ، ولكن على أساس ايجاد الروابط التى تربط الانسان بالطبيعة ، ونتيجة هذا البحث الوصول الى الغرض الأسمى الذى لم يستطع الانسان منذ وجوده أن يظفر به لقصر تفكيره ونقص استعداده . إن اليقين بوجود الله من طريق العقل قد حل مشكلات الفلسفة قديما وحديثا . .

لقد أدرك الانسان أن ما يراه من مظاهر الطبيعة لم يسخر له اعتباطا ، وأن القوانين الطبيعية التى لم يتطرق اليها الخلل لم توجد اتفاقا ، وأن صلة الانسان بالطبيعة ضرورية ، وأن عظمة الخالق كما تظهر فى سر الكهرباء والجذب تظهر فى سر النفس وخلود الروح ، وكما عجزنا عن تعرف ماهية القوة المسببة للحركة العامة للمادة . فما أحرانا أن نكتفى من بحث الروح باليقين بوجودها .

إن نوعا من الفلسفة لا يزال غير مطروق مع عظيم فائدته . . على الفلاسفة اليوم أن يتركوا بحث الانسان فرداً فقد قام الانسان بنصيبه من التفكير فى أمر نفسه . ولكن عليهم أن يضعوا لنا فلسفة أجدى ، وأن يصرفوا جهودهم لبحث القوانين العامة التى يجب أن تربط المجتمع الانسانى . . إن فلسفة المجتمع هى الغاية التى يجب أن ننشدها لتتم سنة الارتقاء وهى الناموس الذى يحكم الطبيعة والانسان ؟

على محمد راضى

قصة من الواقع

الأمل الضائع

أو كذبة ابريل

لا تظن أيها القارىء الكريم أنى سأحدثك عن سبب هذه الكذبة ، ولا متى وأين وجدت ؟ فذلك بالمؤرخ أجدر ، ولا عن مدى أثرها فى نفوس من وقعوا فى حبائلها : أخير هو أم شر ؟ أجميل أم قبيح ؟ أنافع أم ضار ؟ فذلك بعالم الاخلاق أو النفس أليق . إنما أحدثك بلسان أديب ، رأى رأى العين قنيصة من قنائص هذه الكذبة ، على غير علم منه أنها قنيصة ، وإنما أردت أن أطرف بها القراء ؛ لأنها كما سيرون طريفة حقا ، محكمة فى نسجها إحكاما ، حتى لقد بدت - وهى الباطل المزخرف - كأروع مايكون الحق ، ومثلت مع أديب شاعر لم يتسرب إلى قلبه الشك فى صدقها ؛ ولعل ذلك إلى أن الأديب خلق أطهر الناس فطرة ، وأنقاهم سريرة . . . ضحك الأديب المكذوب عليه مع من ضحكوا على هذه الاكذوبة ، وربما كان أكثرهم اغراقا فى الضحك ، ذلك أنه وقف من أصحابها موقف جاد من هازلين ، متفرج على ممثلين : صادق مع كاذبين

طرحت إحدى المجلات الشهرية المصرية على الشعراء مسابقة أدبية ، ذات جوائز مادية ، وانتهى موعد التقديم ، وترقب كل شاعر وأديب نتيجته ، كما يترقب المسهم فى بعض الأنصبة نصيبه . .

وفى ذات ليلة من ليالى ابريل ، فكر ثلاثة من الاصدقاء فى أن يكذبوا « كذبة ابريل » ولم يطل التفكير ؛ فقد كانوا مسهمين فى هذه المسابقة الادبية ، فلماذا لا تكون المسابقة هى مادة الكذبة ؟ ولماذا لا يكون أحد المتسابقين غيرهم موضوعها ؟ ولماذا لا يكون ذلك الأحد صديقا لهم ، اشتهر فيهم بالحلم ، فيأمنوا عاقبة ما تحدثه الكذبة فى صدره ؟ وأخيرا لماذا لا يتلهون بهذه الأكذوبة ويقطعون بها وبالحديث عنها فترة الانتظار ، انتظار النتيجة الممل

اختمرت الفكرة ، ولكن بقى أن تصقل بصيقل الدهاء ، وترتب حوادثها تباعا ، ويشذب ما عساه يتأتى فيها من شبه وظنون ،

ويبعد عنها ما عساه ينبه قوة الملاحظة التى ستغرق فى حلم من الأكذوبة لذيذ . .

تولى أحد المتآمرين سرد حوادث الكذبة كما ستقع ، وتولى الآخر الاعتراض ، وتولى الثالث الرد ، وهكذا تبادلوا الأسئلة والأجوبة والنقد والتمحيص ، حتى أقر الجميع متانة صقلها ، وقوة سبكها ، ثم تعاهدوا على أن يتكاتموا سرها حتى على انفسهم ليضمنوا لها النجاح والتوفيق .

ابتدأت الخطوة الأولى من التنفيذ بكتابة خطاب إلى هذا الصديق المتسابق بخط صاحب المجلة الزائف ، ولكن مع كثير من التقليد ، وبخاصة الامضاء . وهذه صورة الخطاب !

« فلان ... تحية ... وبعد فيسر صاحب الامضاء أن يبشركم بالفوز فى مضمار المسابقة . والمجلة تهنئكم به ، وتطلب اليكم أن ترسلوا صورتكم الشمسية لتصدر بها قصيدتكم المجلية فى ميعاد لا يتجاوز ٢٨ الجارى . . والسلام »

ألصق الخطاب ، وكتب عليه عنوان صاحبه ، وسلم إلى بريد القطار الذى يؤم القاهرة أو بعبارة أدق وضع فى صندوق بريد المحطة طمعا فى أن يصل إلى القاهرة خطأ فتعيده تلك إلى مكتب البريد الذى يوصله الى صاحبنا ، حتى إذا نظر إلى الخطاب لا يشك فى انه صادر من موطن المجلة - كلف أحد المتآمرين ان يرقب عن كثب مصير الخطاب حين يصل القطار - تنبه البريد إلى هذه الخطأة فأرسل الخطاب إلى مكتب بريد البلد قبل ان يصفر القطار ، وذلك ما لم يكن فى حساب المتآمرين ؛ وسرعان ما تلافوا ذلك بأن تطوع أحدهم بحمل الخطاب من مكتب البريد إلى حيث توضع خطابات صاحبنا على مكتبه ، وتولى حراسته ، حتى لا ينظر فيه غير صاحبه خشية ان يدرك بوساطة خاتم البريد أنه مصدر من البلد نفسه ، لانه سينظر إليه بعين فاحصة فتكشف العصا كما يقولون ، لا كما سينظر اليه صاحب الخطاب بعين اللهف على ما فيه . . . هل صاحبنا فى وقت تعود فيه أن يتسلم بريده ، فأبرقت أسارير جبهته ، حين وقعت عينه على ذلك الخطاب ، وأنت أدرى كم يكون سرورك حين تقع عينك على خطاب ، ولو كان ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . .

تناول صاحبنا الخطاب بيد مرتعشة ، رعشة الفرح أو الاشفاق لا أدرى ! ومزق الغلاف ونظر فى سطور الخطاب نظرة سريعة وإذا بالبشرى ، بشرى الفوز فى مضمار المسابقة يفوح عبيرها ؛ فيملأ أنفه ويسرى منه الى أعصاب المخ والقلب سريان البرق ، فيصدر فى غير وعى ، إشارات الفرح ، وأمارات الانتصار ، غير ناظر إلى خاتم البريد ، ولا يمعن فى النظر إلى السطور الزائفة . . .

« أعطنى عقلك ! » لا نظر ولا انتظار ، ولا هدوء ولا قرار ، على مثل ذلك النبأ السار . . .

اغتنم حارس الخطاب هذه النشوة من صاحبنا فاختلس الغلاف وأخفاه حتى لا يعيد النظر الى الخاتم بعد زوال السكرة ، ورجوع الفكرة ، ثم أظهر الحارس الفرح بفرح أخيه ، وتناول الخطاب من يده ، وأخذ يطوف به على بقية الاخوان ، مبشراً من لم يتآمر منهم بنجاح صاحبهم ، ومن تآمر بنجاح مؤامرتهم . . أرأيت كيف تدبر المؤامرات وتحكم التلفيقات ؟ ألم يصدق المثل القائل « كذب مرصوف ، ولا صدق مندوف » وهنا اقترح المتآمرون على صاحبهم أن يدفع ثمن هذه البشرى « حفلة سمر أخوية مسائية تقام فى بيته » وأيد هذا الاقتراح سائر الاخوان فلم يسعه إزاء هذا الاجماع إلا أن يوافق بعد تردد لم يطل مداه إذ بخسوا له هذا الثمن (بمبلغ زهيد يشترى به فاكهة ، وتقام حول مائدتها حفلة تكريم ، للشاعر العظيم) ، دفع صاحب الثمن لاحد المتآمرين الذى تطوع بأن يقوم عنه بمهمة شراء الفاكهة ، وأنه سيتبرع هو الآخر بنصف هذا الثمن ، حبا وكرامة - التفت ذهن الشاعر إذن الى الصورة الشمسية ، ورأى أن ما عنده من الصور لا يصلح لمثل هذا التفوق فقرر أن يحضر صوراً جديدة تكون أبق وأجمل . وتواردت فى ذهنه هذه الاسئلة : من ذلك المصور الماهر الذى سيحظى بشرف تصوير حامل قصب السبق فى مضمار أدبى ؟ من أى المدن القريبة يستحضرها ؟ أى القطر يستقله الى المدينة ؟ متى يسافر ؟ كيف يحصل على اجازة من عمله ؟ . . .

بعد لأى قرر السفر غداً - ولكن اخوانه المتآمرين كانوا قد قرروا أن تكون هذه الاكذوبة مداعبة ظريفة ليس أكثر ، فرسموا خطتهم على ألا يكون سفر ، وألا يكون ما وراء السفر من مشاق ونفقات ، ولا ما وراء ارسال الصورة الشمسية الى صاحب المجلة مما تعلم ، وما لا تعلم . . . كان ذلك وأكثر منه سيحدث لو لم يقرر للمداعبة أن تكون ظريفة غير قاسية ؛ لذلك قرروا أن تكون حفلة السمر فى مساء ذلك اليوم ، وأن يفاجأ صاحبنا بأكذوبة ابريل بعد ما عساه أن يقال ، من خطب

ومقطوعات وأزجال ، فى حفلة كلها أدباء أبطال

قضى الشاعر يومه غير محسوب من عمره كما يقولون : أحلام شهية ، وآمال طلية ، وشرف ومجد ، وصيت لايحد ، ذهل حتى عن نفسه ، واختلط عليه يومه بأمسه ، يخاطبه مخاطبه فيجيب « نعم » حيث الجواب « لا » ، يجيب « لا » حيث الجواب نعم ، وقد يكتفى بايماءة من رأسه تصلح للنفى والاثبات ، وتؤدى معنى لا ونعم ، وما إن فرغ من عمله حتى رأى نفسه فى حجرة الاستقبال فى بيته ، ينظم وينسق ، ويرتب وينمق ، ثم فى حجرة المائدة يكللها بالازهار لأنها ستحظى بتكريم فائز المضمار . . . دقت الساعة تسعا ، فدقت ، سماعة ، الباب وإذا الطارق إخوانه المحتفلون ، أخذ يحييهم ، فيهنئون ، ثم دعاهم إلى المائدة ، فطفقوا يأكلون

جلس الشاعر على مقعد التكريم ، ولأول مرة يفوز بهذا المقعد ، فاحس الخيلاء تتمشى فى نفسه ، وخواطر العظمة تجيش فى صدره ، انبرى الخطباء أمام المنصة ، يقولون ماسمعته مرارا حول موائد التكريم ، حديث معاد ، لايحرف ولا يزداد ، وكان الخطباء بين اثنين : جاد منسجم فى جده ، وهازل غارق فى هزله . والشاعر ترتسم على وجهه ألوان متعاقبة متأثرة بما يقال ، فهو خجل حين يفيض المدح ، متواضع حين يغلو الاعجاب ، مبتسم حين تشرق الدعابة ، ضاحك حين تدوى النكتة ، مزهو حين يذكر السبق فى المضمار ، ثمل حين تدار كأس الانتصار ؛ انتهى الخطباء من كلماتهم ، ولم يبق غير واحد من المتآمرين اعتذر بأن كلمته قصيرة فاترة ، قد يفوح شذاها إن جعلت مسك الختام

وهنا قام الشاعر المكرم ، يؤم المنصة ، متئد الخطى فى دلال ، مصعر الخد من جلال ، ولم لا ؟ ألم يكن المجلى فى حلبة الفرسان ؟ ألم يفز بالقدح المعلى فى الرهان ؟ ألم يشر أو سيشار اليه بالبنان ؟ ألم يصرع – وهو الشاعر الناشىء ، والأديب الحديث – فحول الشعراء ، وقدامى الأدباء فى الميدان ؟ أخذ أمام المنصة يجول ويصول ويهز جوانبها تارة بالشعر المصقول ، وأخرى بالنثر المعسول ، يخلع على الخطباء أبهج الحلل ، ويقلدهم أنصع الدرر ؛ حتى ملأ السمع ، وأثلج الصدر ، وأفعم القلب ؛ وأخيرا جلس كما قام بين عاصفة من الهتاف والتصفيق . .

قام صاحب مسك الختام ، وألقى فى أول كلمته مايناسب المقام ، ثم . . . ثم ماذا ؟ . ثم استجمع قواه ، وشد من أعصابه كما يتجمع من يهم بالقاء قنبلة داوية ، وأراد أن يلقيها كلمة صريحة فلم تطوع له نفسه أن يقذف بها صديقا أعز عليه من نفسه ، ولكنه أرسلها مبهمة تأخذ النفس فى استجلائها رويدا رويدا فتأنس لها ولا تنفر منها نفورا كبيرا . . إذن ماذا قال ؟ قال ! « أملا نزل فى ابريل ، ذلك الشهر الطويل ، شهر الكذب والتضليل ، وسكت . . .

هنا ذهبت نفوس المحتفلين غير المتآمرين وأولهم الشاعر فى تأويل ذلك الذى قيل كل مذهب ، وأخذ الشك يدب إلى يقينهم رويدا رويدا ، كما يدب غسق الليل الى وضح النهار حين الغروب ، . . ولكن ما زال فى الافق بصيص من نور ، وفى النفس ذبالة من أمل ، لقد أطفأه ظرف الخطاب ، أنسيت الخطاب المزيف ؟ » الذى عرض على الجميع بين الدهشة والاستغراب ، فوجدوا أن خاتم البريد هو لمكتب البلد الذى به صاحبنا ، غير أنه ختم به مرتين ذلك الخطاب الذى لم يحظ بركوب القطار . . . وإذن كان ظرف الخطاب ، هو فصل الخطاب ، قطعت به (جهيزة قول كل خطيب) وصاح الجميع فى نفس واحد ، ابريل . . . ابريل ، كذبة ابريل ! لقد مثلت أجود تمثيل ، فكانت كذبة رائعة محكمة ، وكانت مفاجأة لذيذة ممتعة . فهل كانت كذلك فى نفس شاعرنا الكريم ؟ الجواب والمعنى فى بطن الشاعر كما يقولون . فوجىء صاحبنا بكذبة ابريل ، وأنت أدرى مايحوم حول المفاجآت من تكبير وتهليل .

أفاق الشاعر من حلم لذيذ ، دام من الثامنة صباحا إلى العاشرة مساء ، على صوت قذيفة هذه المفاجأة الصارخة ، وانهار فى لحظة واحدة من الواقع مابناه الخيال والوهم من صروح فى ساعات وغار البشر فى ظلام العبوس ، ودفنت النشوة فى وجوم الدهشة ، وأرسل صاحبنا قهقهة عالية عصبية ؛ أمن الغيظ أو الكذب أو الغفلة ؟ لا أدرى ! ملأ السامرون حجرة السمر بصوت مزيج من تصفيق الانتصار ، وضجيج الدهشة ، وصياح الانكار ، وضوضاء الفرح ، ونشيج الأمل

فكيف كان موقف شاعرنا ؟ تكلف وسط هذا الموج الصاخب أن يظهر بمظهر الرجل الثابت الذى يقابل الخطوب بابتسام . والاكاذيب بابتسام ، وهتف من أعماق نفسه « ألا لعنة الله على الماجنين ، وأخذ يسلى نفسه بما حضره من حكم الشعراء ، بمثل قول أبى العلاء .

٣ - بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

أثر الروايتين فى اللغتين العربية والايطالية

حدثنا الدكتور جوفانى كابو فيلا عن أثر دانتى فى اللغة الايطالية إبان تقدمته لروايته فقال (اليه يرجع الفضل فى تثبيت دعائم اللغة الايطالية التى ملأها وهى لا تزال فى مهدها بأقاصيص الحب والعدالة والحرية والجمال)

تلك كلمة نسطرها مقتنعين بها . فاللغة ايطالية وكل لغات أوروبا الحديثة إنما تزداد على مر الايام جمالا وحسنا وثراء من أخيلة ومن ألفاظ . انها تطرد فى الحسن اطراد الاوربيين فى الرقى . وهكذا اللغة تقوى بقوة الامة ، وتضعف بضعفها . وانا لنتقرى مصداق تلك النظرية فى الاوربيين المعاصرين فنرى نسبتهم فى اللغة كنسبتهم فى القوة . وقد كان الايطاليون ضعافا فى عهد دانتى فكانت لغتهم وليدة ، كما قال الدكتور جوفانى .

ونحن ما دهانا فى لغتنا ؟ . لقد كان عهدها الذهبى عصر المعرى إبان القرن الخامس الهجرى . ومن ذلك الحين أخذت تفقد شعاعها على يد التتار فى الشرق ، والاسبانيين فى الغرب ، والمماليك فى مصر ، ولا زالت تضعف تراكيبها ، ويتهلهل نسيجها ، حتى بلغت درجة (الصفر) ضعفا وهزالا اواخر القرن الثالث عشر الهجرى .

بيد أن نهضتنا المباركة أعادت للعروبة طراءة الشباب وجمال الفتوة . وأرتنا كتابا من المعاصرين لا أسميهم ، ولا أبالغ ان قلت انهم فى الطليعة يسايرون الجاحظ ، وابن المقفع وعبد الحميد ، وعمرو بن مسعدة . فى الفكرة وفى الاسلوب

فذلك الضعف المطرد فى الامة العربية منذ القرن الخامس الهجرى . وتوالى الكوارث والمحن عليها أضعف من لغتها . وجعل أثر (رسالة الغفران) محدودا . وهل تستطيع رسالة الغفران أن تقاوم الضعف التى تفتحت أبوابه علينا من كل اتجاه ؟ . ان ذلك غير مستطاع . ولو أنها رقت ألفاظها ، وعذبت مفرداتها ، وسلمت من غرابة اتشحت بها ، لرجونا أن تلوكها الألسن فتعذب ، وتجول فى جنباتها الأخيلة فتسمو . ولكنها أبت أن تخرج للناس سافرة غير ذات نقاب . فوضعت من دونها حجبا وأستارا من اغراب ووحشية ومعاظلة لا تزول إلا بعد استشارة القاموس ولسان العرب ومعاجم اللغة . وقد تجد طلابتك وقد لا تجد . نعم قد لا تجد شرح بعض مفردات (رسالة الغفران) فى معاجم اللغة كلها . فحالت الغرابة دون تناولها ، وبقيت صدفاتها مغلقة على لآلئها ، فلم ينتفع بها أحد .

نزعة فى أبى العلاء إغرابه والعصر عصر حضارة ، وتوعره والزمان زمان رقة نمت فى نفسه بنمو مزاجه السوداوى ، وتقوت دعائمها بما كان يكاثر به العلماء بعضهم بعضا فى عهده من المباهاة بالغريب . ثم صوغه فى قالب جذاب ترغيبا فى حفظه .

تلك المدرسة التى كان يرفع لواءها الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ والتى وضع أساسها ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . وابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ . والخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ ، والبديع الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ ، وابن نباتة السعدى المتوفى سنة ٤٠٥ . والتى كانت تكلف بالغريب تتلمس أو هى الأسباب لذكره والاكثار منه ، كان لها أثر فى نفس المعرى . فحببت اليه الأغراب والأغماض . وأخرى لعلها حدت به أن يغرب . تلك هى السخرية والدعابة التى يشم منها رائحة التطاول على الدين . فعمد المعرى للغريب يتوارى خلفه . ويتخذه مجنا دون من كان يتقى ، فأرانا أفانين من الاغراب تعرب عن علمه باللغة بما تقصر دونه الاعناق ولا تكاد تحيط به العقول .

ولقد كان يأتى ببعض الغريب ثم يفسره مما نستنبط منه أن

فظن بسائر الاخوان شرا ولا تأمن على سر فؤادا

فلو خبرتهم الجوزاء خبرى لما طلعت مخافة أن تكادا

هنا أحس زعيم المؤتمرين أن تلك المفاجأة - مهما يكن من شىء - قاسية شديدة ، فأخذ يلطف حرارتها ، ويخفض من شدتها بما قال مخاطبا الشاعر : لا يكن فى نفسك يا أستاذ أثر من كذبة ابريل ، فوالله ما تدرى . لعل ذلك فأل جليل ، فتطلع علينا فى غرة مايو الجميل المجلة النزيهة . وفيها لك تاج واكليل

حسن ! وما رأيك فى أن ذلك الشاعر الموتور . هو صاحب تلك السطور ؟

فرحات عبد الخالق

شرح المفردات اللغوية كان أحد أغراضه من تدبيج رسالته.

وحسبي أن أضع أمامك بعض نصوصها لتحدثك عن غرابتها، فأول ما ينطق به في رسالته قوله: قد علم الحبر الذي نسب اليه حبريل (بالحاء). وبينا ابن القارح يطوف في روضات الجنة اذا به ينظر خمسة نفر فيقول لهم: مارأيت أحسن من عيونكم! من أنتم؟ فيقولون: نحن عوران قيس تميم بن مقبل العجلاني، وعمرو ابن أحمر الباهلي، والشماخ بن ضرار أحد بني ثعلبة، وعبيد بن الحصين النميري، وحميد بن ثور الهلالي. فيحاور الشماخ في شعره، فيقول له الشماخ: إنما كنت أسق هذه الامور وأنا آمل أن أفقر بها ناقة. أو أعطي كيل عيالي سنة. وأنا الآن إن احببت وردا من رسل الأواري، فرب نهر كأنه دجلة أو الفرات. ولقد أراني في دار الشقوة أجهد أخلاف شياه لجبات لا يمتلىء منهن القعب.

وكذلك قوله: وما عمل من أجناس المسكرات. مفوقات للشارب. وموكرات كالجعة والبتع والمزر. والسكركة ذات الوزر. الى غير ذلك مما امتلأت به رسالة أبي العلاء. فكان حصونا منيعة دون المعنى تحول بينه وبين الأفهام. ودونك مثلا من غريب ما ذكره وفسره حين يقول. فان خرج الى الحاء. فقال: من أم شح جاز أن يقول: وحواري بمح، وبح، وبرح، وبجح وبسح. فالمح مح البيضة، وبح جمع أبح من قولهم: كسر أبح أي كثير الدسم. ويجوز أن يعني بالح القداح كما قال السلمي

قروا أضيافهم زبحا ببح يعيش بفضلهن الحي سمر

ورح جمع أرح، وهو من صفات بقر الوحش. وقد يقال لأظلاف البقرة رح. قال الشاعر الأعشى

ورح بالزماع مردفات بها تنضو الوغى وبها ترود

والسح تمر صغير يابس، والجح صغار البطيخ قبل أن ينضج. وسواء لدينا أكان إغرابه معاياة لعلماء اللغة أم خدمة في سبيل إحيائها. أم تلك الاسباب كلها مجتمعة، فقد كان ذلك النسيج دروعا حول المعنى رغبت الناس عنه. فلم تؤثر الرواية في الجماهير. ولعل اكثارها من نقاش النحو واللغة والصرف، صرف قلوب الناس عنها. على حين كان دانتي يتخذ من روايته عظة خلقية خلابة فتهافت الناس عليها منذ ترامت في سماء ايطاليا.

ولعل مما يكبر المعري في أعين النقاد أن نقاش رسالته وهو في غريب اللغة، وعميق النحو والصرف والعروض، وثلة من تلك الابحاث الجافة لم يكن جافا، فقد أضفى عليه عذوبة من روحه جعلته عذبا شائقا. وتلك هي القدرة الفذة التي تجعل المعري في الخالدين

نفسية الشاعرين:

كان المعري هنا مرحا طروبا، فابتدأ بالفردوس، وختم بالفردوس، وأطلق لخياله العنان، في السخر وفي الدعابة، يسمر مع الشعراء والأدباء والنحاة. بل مع إبليس، ومع الخزنة، خزنة النيران: يرى المعذب تندلق أقتابه، ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت، فيحاوره في النحو والصرف، وفي الرواية والتصحيف، دون أن تجدى لديه ضراعة المعذبين واعتذارهم عن الاجابة بما هم فيه. ولم يصحب المعري دليلا في رحلته إيناسا لابن القارح، وتعبيداً لسبيلها

ولكن دانتي كان مروع القلب، هلوع الفؤاد. ابتدأ الرحلة بالجحيم فلم يطق السير في ظلماتها وحيدا. فصحب الشاعر العظيم فرجيل، يؤنسه ويهديه سواء السبيل. بيد ان اصطحابه لم يمنعه أن يشتد به تأثره، حين يرى الجثث تتطاير مع اللهب من اللهب. وحين يستمع العصاة وهم يصطرخون فيها داعين بالويل والثبور الواحد، وبالويل وبالثبور الكثير.

ولقد أغمي عليه مرات عدة. فقد وعيه حينما كان يطوف في الطبقة الثانية من جهنم، فرأى العاشقين باولو Paolo وفرنشيسكا Francesca وهما يتطايران متعانقين في لهب السعير. رأى دانتي تلك المخلوقة الضعيفة تلفح وجهها النيران فأغمي عليه. ولما أفاق قصت عليه قصصها. وأنها كانت هيفاء القوام، مشرقة الطلعة، خطبها (جانشوتو مالاتستا) القصير القامة الدميم الخلقة. فأطمع أهلها ثراؤه. فتغاضوا عن دمامته، وإبان الخطبة أروها أخاه (باولو) الوسيم القسيم، فأحبته. وظلت ترقب ليلة الزفاف التي تجلت لها سوداء قاتمة حين رأت زوجا دميما خدعت فيه بأخيه الذي ظلت عرى المحبة بينها وبينه متواصلة. حتى أتاحت لهما الفرصة سفرا من زوجها قريبا فالتمساها وجلسا يقرآن مناقصة فيها قبلة، بلغاها فقلداها فتوشجت بينهما أواصر المحبة، حتى تكشف أمرهما لاحد الخدم، فسعى بهما لزوجها. فحضر على حين غفلة فرآهما معا مختليين في منأى عن أعين الرقباء، فاستبقا الباب فاتبعهما بسيفه فقضى عليهما عقابا في الدنيا، يتلوه خلودهما في الجحيم

التصوير فى الشعر العربى

للأستاذ فخرى ابو السعود

الوصف من أهم أغراض الشعر وأخص فنونه . وكلما كثر فى شعر لغة أو آثار شاعر ، دل على رقيهما الفنى ، إذ أن مناظر الطبيعة خاصة ، وروائع المشاهدات عامة ، من أشد العوامل تأثيراً فى النفس الشاعرة وتحريكا لعاطفتها وبعثاً لها الى القول . والوصف فى الشعر العربى غزير يتناول شتى الموضوعات ، ويبلغ فى يد كبار شعراء العربية غاية الاجادة . فكثيراً ما تخلص شعراؤنا من قيود المدح والرثاء والنسيب الاستهلالى - مهما كان تقيدهم بهذه الأغلال الثقيلة التى كبلت الشعر العربى - وعرجوا على وصف أثر من آثار الطبيعة أو المدنية ، فأبدعوا وأرضوا الفن أضعاف ما أرضوه بمبالغات المدح والرثاء والنسيب المدعى .

ولكن الذى أريد الاشارة اليه فى هذه الكلمة ، ان اعتماد الوصف فى الشعر العربى كان دائما على المعنى دون اللفظ ، على التشبيه والاستعارة والمجاز دون جرس الالفاظ وتتابع التراكيب ووقع الاوزان والقوافى . بينما الشعر الوصفى الغربى اعتمد على هذه الاشياء الاخيرة اعتمادا كبيراً . فبلغ الغاية فى المطابقة بين المعنى واللفظ مطابقة تملأ الوصف حياة وجلاء . وتوفر بعض الشعراء على هذا الضرب من التصوير ، ومنهم ملتون وتنيسون ، ولا سيما الثانى الذى يلغ فى القدرة على تذليل اللفظ للمعنى واستخدامه فى تصوير ما يشاء حداً منقطع النظير . وأضحت آثار أولئك الشعراء مهبط وحى لكبار المصورين يستلهمونها ما حوت من روائع الاوصاف ومحكات الصور ويسجلون ذلك على لوحاتهم .

اذا كان فى المنظر المراد تصويره حركة كجريان نهر أو عدو جواد استخدم الشاعر الغربى بحرا من بحور الشعر يلائم تلك الحركة ويحكيها . واذا كان به صوت أو أصوات مختلطة كهدير أمواج البحر أو قصف المدافع فى الحرب اختار من الالفاظ تلك التى تحتوى على حروف خشنة قوية ، واذا كان يصف منظرا ساكنا وادعا لم يذكر ذلك فى القصيدة ذكرا ، وانما استعمل الالفاظ ذات الحروف اللينة كالسين مثلا ، وهناك عدا هذا وذاك ضروب شتى من الملاءمة بين الصيغة والمعنى يفتن فيها الشاعر الوصاف ما شاء له اقتداره : ككثرة العطف وتكرار الحروف والكلمات والتراكيب والابيات الكاملة .

ولقد وقع شىء من ذلك فى بعض اشعار الوصف العربى ، ولكنه كان الهاما محضا او اتفاقا عارضا ساقت الشاعر اليه المصادفة السعيدة أو السليقة الجيدة ، دون أن يتعمده أو يتكلف فى صوغه عناء ، ويقرأه القارىء العربى فيستطيبه ويعزو موقعه من نفسه الى مجرد جودة معانيه وحسن تشبيهاته . ويجمل ذكر شىء من هذا للتمثيل والبيان :

فنى معلقته يصف امرؤ القيس الليل فى بيته المشهور

فقلت له لما تمطى بصلبه   واردف اعجازا وناء بكلكل

وفضلا عن جودة المعنى وحسن التشبيه فى هذا البيت يزيد الوزن والتركيب الوصف المراد ظهورا : فالبحر الطويل ذو الحركة الوئيدة وتكرار العطف بالواو يمثلان بطء مسير الليل ولجاجه فى الاقامة وتماديه فى الطول خير تمثيل ، وفى بيته الآخر حيث يصف جواده بقوله :

مكر مفر مقبل مدبر معا   كجلمود صخر حطه السيل من عل

نرى تتابع الصفات بلا فاصل فى الشطر الاول ، واستعمال الالفاظ الضخمة الخشنة فى الشطر الثانى يمثلان توثب الجواد وسرعة انطلاقه وارتداده ومفاجآت حركاته تمثيلا جيداً يصرف النظر عن تشبيه بانحطاط الصخر من شاهق . وفى قول المتنبى :

أتوك يجرون الحديد كأنما   سروا بجياد مالهن قوائم

خميس بشرق الارض والغرب زحفه

وفى أذن الجوزاء منه زمازم

نرى وصفا رائعا لجيش كثيف وئيد الزحف لكثافته ،

ولقد كان داتى يطوف فى الطبقة الأولى من الجحيم . فزلزلت الأرض زلزالها ، وانتشر فى الجو نور أحمر تكاثف حتى ملأ الآفاق ففقد كل المشاعر والحواس . لولا رعد قاصف دوى فى أذنيه فأفاقه وهكذا كان داتى مضطرب القلب مروعا من رحلته ، على حين ان ابن القارح كان طروبا كما حدثتك حتى فى أشد المواقف إذابة للصخور الجلامد .

وذلك فرق ما بين الشاعرين : داتى العابس ، والمعرى الباسم فى رسالة الغفران لا فى اللزوميات .

يتبع   محمود احمد النشوى

وليس فى البيتين معنى كبير ، وليس فيهما سوى مبالغة غير معقولة ، ولكنه البحر الطويل يمثل هذه الحركة البطيئة أتم تمثيل ، هذا فضلا عن فخامة الالفاظ التى تخيرها الشاعر ؛ ونرى البحر الطويل يؤدى مثل هذا الغرض ويرسم صورة أخرى رائعة فى قول جميل

ولما قضينا من منى كل حاجة   ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا   وسالت بأعناق المطى الأباطح

فهنا حركة الابل البطيئة واضحة ماثلة ، وقد كان جميل ملهما حيث ذكر كلمة أعناق فى البيت الثانى فانها وحدها ترسم الصورة التى اراد : فان ذكر الجزء الأهم من الصورة ، كثيرا مايبعث الى المخيلة باقى الاجزاء ويبرز الصورة جلية كاملة ، ويترك البحر الطويل مثل هذا الأثر أيضا فى قول البارودى الذى اشار اليه الدكتور صبرى فى كتابه عن الشاعر :

— ونبهنا وقع الندى فى خميلة —

فاذا قرىء هذا الشطر بتأن وجدنا الوزن يمثل تساقط قطرات الندى متتابعة ، اما الحركة السريعة فيمثلها البحر الكامل ، ومن ذلك قول المتنبى :

اقبلت تبسم والجياد عوابس   يخببن بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عثيرا   لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا

ففى البيت الثانى نرى مبالغة أخرى من مبالغات المتنبى ، وهى وحدها لاتكاد تؤدى معنى ، ولكن البحر الذى صيغت فيه القصيدة يؤدى خبب الجياد خير أداء ، حتى ليكاد يريك توثب الفرسان فوق ظهورها ، ولو حاول الشاعر وصف الخبب فى البحر الطويل لما استقامت صورته

ولتكرار الألفاظ أو التعبيرات احيانا اثر بليغ فى ابراز الصور وبعث الأخيلة . ففى قول ابن هانىء الأندلسى :

وفوارس لا الهضب يوم مغارها   هضب ولا الوعر الحزون حزون

يوحى تكرار كلمتى هضب وحزون الى المخيلة تتابع الهضاب والربى أثناء عدو الفرس ، فكأنه يعرض أمام العين شريطا سينمائيا متحركا ، أضف الى ذلك صوغ البيت فى البحر الكامل واختيار الكلمات الفخمة ، وفى قول الاستاذ المازنى :

لغط اليم اذا اليم طما   والتقت فيه هضاب بهضاب

ترى صورة رائعة لجيشان اليم ، ولا يرجع هذا الى معنى البيت وحده ، ولكن الى وزنه والفاظه كذلك : فبحر الرمل يمثل الحركة المتضاربة أدق تمثيل . وتكرار كلمتى اليم وهضاب يوحى الى المخيلة تتابع اللجج ، وتكرار حرف الهاء ثلاث مرار فى الشطر الثانى يزيد الحركة تصويرا وبروزا

كان ذلك فى الغالب كما ذكرت محض اتفاق أو الهام ، ولم يقم فى العربية فرد أو مدرسة تتوفر على هذا الضرب من النظم والتصوير وانما حين اتجه نظر الشعراء الى اللفظ صادف ذلك عصر انحلال الأدب فلم يسخروا اللفظ لابراز المعنى ، بل صرفوا كل همهم الى اللفظ دون المعنى ، وولعوا بالألاعيب اللفظية التى سموها محسنات ، وأوغلوا هذه الغثاثات على أجل فنون الشعر خطرا كالرثاء والنسيب فاسفت وانعدم فيها الحس والشعور ؛ فرأينا شاعرا ينسب فيقول

ناظراه فيما جنى ناظراه   أو دعانى أمت بما أودعانى

وآخر يتوجع فيقول :

لى مهجة فى النازعات وعبرة   فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وثالثا يمدح فيقول :

وان أقر على رق أنامله   أقر بالرق كتاب الأنام له

وليس فى كل هذا تعبير عن شعور أو أداء غرض ، وماهو إلا عبث بالألفاظ واقتناص للجناس والطباق والسجع والتورية ، وإنما أكثرت من هذه الامثلة الغثة لأوضح كم كان الشعر العربى يربح لو أن المجهودات التى صرفت فى مثل هذا التحايل العقيم وجهت إلى تسخير اللفظ للمعنى والاستعانة بهما معا على ابراز الوصف المقصود كما يصنع شعراء الغرب

وليس فى طبيعة اللغة العربية قصور يحول بينها وبين مجاراة اللغات الأخرى فى هذا الباب ، بل لها من الميزات ما يقدمها على غيرها : فهى كثيرة البحور التى يؤدى كل منها غرضا مختلفا ، غزيرة الألفاظ الوعرة الضخمة والرقيقة اللطيفة التى توحى بخشونتها أو رقتها مختلف الصفات ، غنية بالحروف السلسة اللينة والحروف الخشنة الجافية التى تطاوع الناظم القدير . ليس يعوز العربية شىء من ذلك وانما يعوزها الجرأة من الناظمين بها والعزم والجلد .

فخرى أبو السعود

الانتصار؟!..

٥ ـ بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

عقيدته

وكان سنى الاعتقاد يكره المعتزلة ويلعنهم (١) قال فى الديوان متغزلا :

ذات جفون ضعفت كمذهب المعتزلة

وله قصيدة يرد فيها على الخوارزمى قوله فى الصحابة . ومن أجل ذلك اتهم فى نيسابور بميله عن العلويين ، فبرأ نفسه وروى لهم من شعره فى رثاء الحسين ، فهو على حبه آل البيت لاينهب مذهب الشيعة فى الخلافة ومايتصل بها . يقول فى الديوان :

يقولون لى لاتحب الوصى	فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبى وأهل النبى	وأختص آل أبى طالب
وأعطى الصحابة حق الولاء	وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع	فانى كما زعموا ناصبى
وان كان رفضا ولاء الوصى	فلا يبرح الرفض من جانبى . الخ

وفى رسائله واحدة كتبها الى بعض الوزراء يشكو من ظهور التشيع فى هراة ويحذر ان يصيبها ما أصاب نيسابور وقم والكوفة:(٢)

« ورجع صاحبى آنفا من هراة فذكر انه سمع فى السوق صبيا ينشد أن محمدا وعليا ، لعنا تيما وعديا . فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدى ، لكفتنى شغل الشكاية ، وولى النعمة شغل الكفاية ، ويل أم هراة ، أنصب الشيطان بها هذه الحبالة ، وصرنا نشكو هذه الحالة . والله مادخلت هذه الكلمة بلدة الا صبت عليها الذلة ، ونسخت عنها الملة ، ولارضى بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم ، وألقى بينهم باسهم . هذه نيسابور منذ فشت فيها هـــذه المقالة فى خراب واضطراب الخ »

أدبه

قدمت فى المقالات الماضية طرفا من سيرة الهمذانى وأخبار أسرته وأحوال عصره ، وأبين الآن عن أدبه : نثره وشعره

كان أحمد بن الحسين الهمذانى أعجوبة فى ذكائه وحفظه ، فتيسر له علم واسع باللغة والأدب . وهو يقول فى حديثه عما شجر بينه وبين أبى بكر الخوارزمى : « فقلت يا أبا بكر هذه اللغة التى هددتنا بها وحدثتنا عنها ، وهذه كتبها وتلك مؤلفاتها ، فخذ غريب المصنف ان شئت ، واصلاح المنطق ان أردت ، والفاظ ابن السكيت ان نشطت ، ومجمل اللغة ان اخترت ، فهو الف ورقة ، وادب الكاتب ان اردت ، واقترح على اى باب شئت من هذه الكتب حتى اجعله لك نقدا ، واسرده عليك سردا ، فقال اقرأ من غريب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال وما أمساه فاندفعت فى الباب حتى قرأته فلم اتردد فيه ، واتيت على الباب الذى يليه ، ثم قلت اقترح غيره ، فقالوا كفى ذلك ، فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من أخبار فصيح الكلام ولا اطالبك بسواه ، ولا اسألك عما عداه ، فوقف حماره ، وخمدت ناره ، وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهاتوا غيره ، فقلت يا أبا بكر هات العروض ، فهو أحد أبواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بالقابها وابياتها ، وعللها وزحافها ، فقلت هات الآن فاسرده كما سردته .... »

وقد أعجب الناس بذكائه وبديهته ، وتحدى هو الناس بهما فجاء كثير من منشآته عفو البديهة ، ولو روى فيه لجاء خيراً من ذلك .

قال الثعالبى فى اليتيمة : « ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتا ، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها ، لا يخرم حرفا ولا يخل معنى ، وينظر فى الاربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذ بها من ظهر قلبه هذاً ، ويسردها سرداً . وهذه حاله فى الكتب الواردة عليه وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو انشاء رسالة فى معنى بديع ، وباب غريب ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عنها فيها . وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم هلم جرا الى الأول ، ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من انشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروى من النثر والنظم ، ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة . ويقترح عليه

(١) الرسائل ص ١٦١ (٢) ـ ص ١٨٣

كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله فى أسرع من الطرف على ريق لايبلعه ، ونفس لايقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة . . . . وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع ، الى عجائب لا تحصى ، ولطائف تطول أن تستقصى . »

لدينا من آثار الهمذانى ديوانه ورسائله ومقاماته . فأما الديوان فيتضمن زهاء ثلاثمائة وألف بيت ، منها ست وثلاثون قصيدة وقطعة فى المدح مدح بها من الملوك والامراء : شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، والسلطان محموداً الغزنوى ، وبنى فريغون وخلف بن أحمد ، وبنى ميكال . ومن الوزراء الصاحب بن عباد ، وأبا نصر بن زيد . ومدح جماعة من رؤساء جرجان ونيسابور ونسا وهراة . وهو يجرى فى المدح على السنن المعروف ، ولكنه لا يلتزم الغزل فى أول المدائح ، ولا يطيل فى معظمها .

ومن جيد شعره فى المدح القصيدة التى أولها :

على ألا أريح العيش والقتبا   وألبس البيد والظلماء والليلا الخ (١)

وقوله فى بنى فريغون :

ألم تر أنى فى نهضتى   لقيت الغنى والمنى والأميرا
ولما التقينا شممت التراب   وكنت امرأ لا أشم العبيرا
لقيت امرأ ملء عين الزما   ن يعلو سجايا ويرسو ثبيرا
لآل فريغون فى المكرمات   يد أولا واعتذار أخيرا
اذا ما حللت بمغناهم   رأيت نعيما وملكا كبيرا

وأما الغزل فله فيه غير مافى قصائد المدح ست قطع تحوى واحداً وعشرين بيتا . والبديع ليس غزلا ، ولكنه حاكى الشعراء فى ضرب ألفوه وافتنوا فيه وعدوه من فروض الشعر .

وله قطع فى وصف الأسد ، والليل ، والجمر . . وقطعته فى وصف الليل نموذج من شعره المرتجل . ارتجلها حين اقترح عليه الموضوع والقافية :

أنعت ليلا ذا سواد كالسبج   مخدر الصبح خدارى الدعج
أدرج العالم فيه لاندرج   أو نسج الحرمان منه لانتسج
ليلا حرون النجم قارى النهج   العمر فيه نقطة لو انفرج
والدهر من أجزائه ولا حرج   أيسر مافيه الشهور والحجج الخ

ويجود شعر الهمذانى فى الرثاء والمواعظ . وفى ديوانه ست مراث إحداها فى واقعة كربلاء ، وله اثنتان وعشرون قطعة صغيرة فى المواعظ تنبىء بما فى نفسه من الانقباض والحزن والتشاؤم كما قدمت فى الكلام عن أخلاقه . ومن مرثية الحسين بن على :

يالمة ضرب الزمان   م على معرسها خيامه
لله درك من خزامى   م روضة صارت ثغامه
فوربه قامت به   للدين أشراط القيامه
لمضرج بدم النبوة   م ضارب بيد الامامه
متقسم يطأ السيوف   م بجرعا منها حمامه
منع الورود وماؤه   منه على طرف الثمامه الخ

وقد قدمت آنفا مرثية الخوارزمى التى أولها :

حنانيك من نفس خافت   ولبيك من كمد ثابت (١)

ويقول فى المواعظ ، وهو فى هذا يشبه أبا العتاهية :

ياحريصا على الغنى   قاعدا بالمراصد
لست فى سعيك الذى   خضت فيه بقاصد
ان دنياك هذه   لست فيها بخالد
بعض هذا فانما   أنت ساع لقاعد

ويقول :

ياقلب ما أغفلك   عن حركات الفلك
ويحك هذا الردى   اليك يسعى ولك
انت على سفرة   يشيب منها الحلك
من انتحى نهجه   بغير زاد هلك

ويقول :

أجدك ماتنبه للدنايا   كأنك واجد عنها ملاذا
لذاك على الغنى تزداد حرصا   وفى حلبات سكرتها نفاذا
هب الدنيا تحقق ماترجى   من الآمال ويحك ثم ماذا ؟

ونراه يتكلم بلسان الصوفية فى القطعة التى أولها :

ان لله عبيدا   فى زوايا الأرض غبرا الخ (٢)

ويقول فى صديق له حبس :

مالى أرى الحر ذاهبا دمه   ولا أرى النذل ذاهبا ذهبه
أفلح من لؤمه وسيلته   وليس ينجو من جرمه حسبه
من شاء ألا يناله زمن   فليكن العرض جل ما يهبه
أراحنا الله منك يا زمنا   أرعن يصطاد صقره خربه

---

(١) الديوان ص ٤

(١) الديوان ص ١٢   (٢) ص ٣٤

يا ساغبا جائع الجوارح لا يسكن الا بفاضل سغبه
ياضرما فى الأنام متقدا والجود والمجد والندى حطبه
ياصائدا والعلى فريسته وناهبا والجمال منتهبه
ياسادتى لا تلن عظامكم لعضة الدهر ان يهج كلبه

بل هو حين يحض على التمتع بالدنيا ، واهتبال فرص العيش ينم عن حزن وتشاؤم يذكرنا بعمر الخيام فانما يلهولينسى تباريح الحياة

انما الدهر الذى يصدقنى حر المصاع
كالنى مدا وأجزئه من الحلم بصاع
فاغنم الايام ما ألفيتها خضر المراعى
انما نحن من الدهر بواد ذى سباع
لاتدع من لذة العيش عيانا لسماع (١)

ويقول فى قصيدة يمدح فيها ابا جعفر الميكالى :

نستبيح الدهر والايام منا تستبيح
ضاع مانحميه من انفسنا وهو يبيح
نحن لاهون وآجال المنى لاتستريح
ياغلام الكاس فالياس من الناس مريح
أنا يا دهر بأبنائك شق وسطيح الخ (٢)

وللهمذانى قطع كثيرة فى الالغاز والمعميات ، وكان الرجل نادرة فى الذكاء والبديهة فكان يختبر الناس ويختبرونه بهذا الضرب . وفى الديوان منه اثنان وعشرون ، ويكثر فى شعره الترجمة عن الفارسية . وفى الديوان ثلاث عشرة قطعة مترجمة عن هذه اللغة . وكانت الترجمة بين العربية والفارسية سنة شائعة بين متأدبى المسلمين فى ايران وما يجاورها ، اذ كان الشعر الفارسى قد بلغ أشده ، وكانت العربية لا تزال لغة العلم والأدب . وكثير من شعراء هذا العصر وما بعده نظم باللغتين ، ولقب لذلك بذى اللسانين ، وفى يتيمة الثعالبى أمثلة من هذا . وهذه الترجمة تهم دارس الأدبين العربى والفارسى . ولكن يقلل خطرها أننا نجد الترجمة ولا نجد أصلها ، ولم أعرف من الشعر الفارسى الذى ترجمه البديع الا قطعة أثبتها محمد عوفى فى كتاب لباب الألباب فى ترجمة المسطق الشاعر الفارسى ، ويقول عوفى ان الصاحب بن عباد أمر البديع بترجمتها ، فقال على أية قافية ؟ فقال الطاء . قال ومن أى بحر ؟ قال أسرع يابديع ، فى البحر السريع ، فترجمها ارتجالا والأبيات :

بك بوى بد زويدم أزدوزلفت جون زلف زرى اى صنم بشانه
جونانش بسختى همى كشيدم جون موركه كندم كشد نجانه
باموى بخانه شدم يدركفت : منصور كدامست أزين دوكانه

والترجمة :

سرقت من طرته شعرة حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلحت بها مثقلا تدلح النمل بحب الحناط
قال أبى من ولدى منكما كلا كما يدخل سم الخياط

ويرى أنه تصرف فى ترجمة البيت الثالث . وأصله : « ذهبت الى الدار بالشعرة . فقال ابى : منصور أى الاثنين ؟ . وفى الديوان بيتان قبل هذه الثلاثة . (١)

ومن الترجمة التى يتجلى فيها اسلوب الفارسية هذان البيتان

فؤادك أين ؟ سباه . بماذا بمقلته . من ؟ غزال ربيب
سلابا . نعم . أين؟ وسط الطريق متى ؟ اليوم . هذا سلاب غريب

وهى تذكر دارس الأدب الفارسى بمطلع قصيدة محتشم من شعراء الدولة الصفوية فى رثاء آل البيت

وفى الديوان قطعة فيها كلمات وشطرات فارسية ، والشعر المنظوم بلغتين أو أكثر يسمى الملمع فى عرف أدباء الفرس او الترك وهو كثير عندهم (٢) ويكثر فى شعره المجزوء ، ولا سيما الهزج والكامل . وسأعود الى هذا حين الكلام فى سجعه .

وأحسب بديع الزمان نظم معظم شعره فى أوائل حياته . ففى الديوان أبيات نظمها وهو فى الثانية عشرة ، وهو يذكر سن العشرين فى بعض شعره :

إنى بعشرين تصاريفها بعد الثمانين تعرفتها

ويذكر الخامسة والعشرين وهو يمدح خلف بن احمد :

ألم يك فى خمس وعشرين حجة تسنمتها هاد لمثلى الطرائق

ثم هو يلعن النظم فى كلامه عن الخوارزمى فى بعض رسائله وذلك دليل على أنه مال عن الشعر : « هو خوارزمى ، ولست من خوارزم ، وهو شاعر ولعن الله النظم » وأوضح من هذا قوله فى رسالته الى ابن ظهير رئيس بلخ

« كنت نويت أ لا أقول الشعر فأبت النملة الا الدبيب . وأجدنى قد اكتهلت والكهل قبيح به الجهل . » (٣)

يتبع — عبد الوهاب عزام

(١) الديوان ص ٥٢ (٢) ص ٢٠

(١) لباب الألباب ص ١٦ والديوان ص ٤٨ (٢) الديوان ص ٦٤
(٣) ١٤٤ من الرسائل — ط الجوائب

من طرائف الشعر

الى البحـــر

للشاعر الوجدانى على محمود طه

قف من الليل مصغياً والعباب ... وتأمل فى المزبدات الغضاب
صاعدات تلوك فى شدقها الصخر ... وترمى به صدور الشعاب
هابطات تئن فى قبضة الر ... يح وترغى على الصخور الصلاب
ذلك البحر: هل تشاهد فيه ... غير ليل من وحشة واكتئاب؟
ظلمات من فوقها ظلمات ... تترامى بالمائج الصخاب
لا ترى تحتهن غير وجود ... من عباب وعالم من ضباب
أيها البحر كيف تنجو من اللي ... ل؟ وأين المنجى بتلك الرحاب
هو بحر أطم لجا وأطغى ... منك موجاً فى جيئة وذهاب
أو ما تبصر الكواكب غرقى ... فى دياجيه كاسفات خوابى؟
وترى الارض فى نواحيه حيرى ... تسأل السحب عن وميض شهاب
ويك يا بحر ما أنينك فى اللي ... ل أنين المروع الهياب
امض حتى ترى المدائن غرقى ... وترى الكون زخرة من عباب
إمض عبر السما واطغ على الأف ... لاك واغمر فى الجو مسرى العقاب
ذاك أو يهتك الظلام دياجيـ ... ـه وينضو ذاك السواد الكابى
وترى الشمس فى مياهك تلقى ... خالص التبر واللجين المذاب

أقبل الفجر فى شفوف رقاق ... يتهادى فى منظر خلاب
حلل من وشائع النور زهر ... يتماوجن فى حواشى السحاب
واذا الشاطىء الضحوك تغنى ... حوله الطير بالأغانى العذاب
ونسيم الصباح يعبث بالغا ... ب ويثنى ذوائب الاعشاب
ومن الشمس جمرة فى ثنايا ال ... موج يذكو ضرامها غير خابى
ومن البحر جانب مطمئن ... قزحى الأديم غض الأهاب
نزلت فيه تستحم عذارى ال ... ضوء من كل بضة وكعاب
عاريات يسبحن فى اليم لكن ... لفها الرغو فى رقيق الثياب
فاذا البحر يرقص الموج فيه ... واذا الطير صدح فى الروابى
راقصات الامواج علمن قلبى ... راقصات المغرد المطراب
وأفيضى عليه من سلسل الوحـ ... ـى نميراً كالجدول المنساب
واستثيرى عواطفى ودعينى ... أسمع البحر أغنيات الشباب

لى وراء الامواج يا بحر قلب ... نازح الدار ماله من مآب
نزعته منى الليالى فأمسى ... وهو ملقى فى وحشة واغتراب
ذكريات تدنى القصى ولكن ... أين منى منازل الاحباب
أنا وحدى هيمان فى لجك الطا ... مى غريق فى حيرتى وارتيابى
أرمق الشاطىء البعيد بعين ... عكفت فى الدجى على التسكاب
فسواء فى مسمعى من ذراه ... صدحة الطير أو نعيق الغراب
وسواء فى العين شارقة الفجـ ... ـر أو الليل أسود الجلباب
بيد أنى أحس فيك شفاء ... من سقامى ورحمة من عذابى
أنت مهد الميلاد والموت يا بحر ... ومثوى الهموم والاوصاب
فأنا فيك أطرح الآن آلا ... مى وعبء الحياة والاحقاب

السائلة . . .

كاعبٌ زادها الشحوبُ جمالا *** وكساها اليتمُ الرهيبُ جلالا
أمعنَ الهمُّ فى مدامعها نزْ *** حاً وفى قدِّها النضيرُ هزالا
لبست بالىَ الثياب وجرت *** إثرَها من جلالها أذيالا
تمعنُ الخَلّةُ الملحّةُ والعزَّ *** ةُ فى قلبها الكليم نضالا
كم تمنّتْ على الصِّبا نعمةَ المو *** ت إباءً فما تطيقُ السؤالا
لو ان الحمامَ طوع بنان النـ *** اس، كان الانسان أسعدَ حالا

حثها الجوعُ للسؤال كما تحـ *** ـثُّ للموتِ مجرماً قتالا
فأتت سيداً وقد جرّرَ الأذ *** يال تيهاً على الورى واختيالا
سألته قرشاً ومدّت له الكفـ *** ـفَ ترجّى من الكبير النّوالا
ناهدٌ لو رجت نوالَ صخور *** لجرى الصخرُ بالدموع وسالا
ردها عنه صاخباً، بكلام *** كان فى قلبها الكسير نبالا
فانثنتْ عنهُ والفؤادُ جريحٌ *** وانثنى دمعُها أسى هطّالا

ويلها شرعةً أعزّتْ لئيما *** فتمادى على الكريم وصالا
بعض هزل الزمان أن يوسع الأحـ *** ـرارَ ظلما ويكرمَ الأنذالا
زمنٌ ينزلُ المراتعَ قطعا *** نُ الخنازير والصحارى النبالا

عجبى للغنىّ يغفو قريرَ الـ *** ـعينِ فى ليلهِ وينعمُ بالا
بينما النسوة الضوامرُ يبكـ *** ـينَ ويكثرن فى الدجى إعوالا

من يعولُ الفتاةَ أرمضها الجو *** عُ وآضت بها الهمومُ خيالا؟
لا أبٌ يمسكُ الانينَ إذا لجّ *** ولا الدمعَ إن ألحَّ وسالا
أتراها تقضى من الجوع بينا *** غيرُها يمرحُ السنين الطوالا
عزّت اللقمةُ الطهورُ عليها *** مثلما عزّت الشُّها أن تُنالا
فغداً تأخذ الطريقَ إلى المنـ *** ـكر كرهاً وتخلعُ الأسمالا
وتجلّى كالبدر فى أفق الشر *** بهاءً وروعة ودلالا
وترى سادة النضار عبيداً *** يتمنّونَ عطفها بذّالا
.. ويقول الانسانُ تلك فتاة *** لوّمتْ نفسُها وساءت فعالا
باعت العرضَ باللذائذ طوعاً *** فستلقى من الالهِ نكالا
كذبوا! فالالهُ أعدلُ من أن *** يجزىَ الساغبَ البرىءَ وبالا

نخلق المجرمين نحن بأيديـ *** ـنا ونسقيهم الردى أشكالا!

دمشق — أمجد الطرابلسى

أحي الربيع . .

أتى من يبشرنى بالربيع *** ويعجب لى كيف لا أفرحُ
وكيف تكون الربى فى حبور *** وتزهو الحقول ولا أمرح
وكيف الطيور على غصنها *** بأشجى أناشيدها تصدحُ
وما للبنفسج من زرقة *** ومن عبق روحه تنفح
فقلتُ وقد ضقت باللوم ذرعاً *** وفى وجنتى عبرة تسبح
أحي الربيع وفى مهجتى *** شتاء من الغم لا يبرح

حسين شوقى

ليت قلبى . . !

إيه يا دهر ما مخالبك العصـ *** ـل بأقسى علىّ من مقلتيّا
نظراتى للناس تترك فى القلـ *** ـب ضراماً يكوى ضلوعى كيّا
لا أرى فى الحياة غير حزين *** يذرف الدمع بكرةً وعشيّا
وكئيب اذا تنفس خلت النـ *** ـار تذرو لظى الجحيم عليّا
ليت قلبى من الحجارة صلد *** ليس يدرى من الحقيقة شيّا
أنا يا قوم شاعر ملأ الشعـ *** ـر جنانى وفاض من جانبيا
قلبى النظم لمعةً وضياءً *** غير انى أرى الظلام قويّا

من رملة فلسطين — عبد الرحمن رباح

القلب الطريد

إن بين الضلوع قلباً طريداً   عاثر الجد لم يُقل من عثاره
قام دهراً إلى اليسار ربيئاً   مشرفا قابضاً على منظاره
آملا أن يلوح قلب نقىّ   يبذل الود ساذج فى نفاره
يعرف الحب والحياة فُيلْقى   عن فؤاد المحب ثوب صغاره
عالم بالجمال فى كل لون   وخبـــير بخافيات مَثاره
يستطير الذكاء منه شعاعا   ساكبا ضوأه على اقطاره
يشرق القول من سناه ويمشى   شرطىّ العفاف فى أنواره
ويفيض الحنان نهراً دفوقاً   بجرف العازلين فى تياره

آملا أن يراه منه قريباً   قبل موت الهوى وقبل اندثاره
إن شدا بالغرام هب مجيباً   ذلك القلب شادياً بجواره
يرسل اللحن فى الفضاء قويا   ويسر الأنين فى أوتاره
جامد الطرف ذائبا من حنين   مسنداً رأسه الى قيثاره

ويحه لم يجد مبادل حب   أوصديقاً يصون من أسراره
هام شرقاً وهام غرباً كئيباً   يستميح الحنان فى أطاره
طارقاً للفؤاد من كل ظبى   ُحفّ أو لم يحف لى بمكاره
ويوالى الهجوم حتى أراه   مشرئباً يشب فى أسواره
كلما دقّ باب قلب ترامى   فيه شخص يجيل فى انظاره
خافتٌ رده يقول تأخر   ت كثيراً ياصاح عن ايجاره
طال تسياره وآب ولم يحـ   ظ بغير الكلال فى تسياره
فأبى بعدها القلوب مقيلا   واستعاض البيوت من اشعاره
يشتكى دهره ويدلع فيها   من سعير الغرام ألسن ناره
كاحلا بالدماء من مهجة القلـ   ـب عيون القصيد فى أشطاره

هدنة ما أقمت شهرا عليها   ثم عاد الفؤاد ماضى سُعاره
فهو يغلى به ويطغو عليه   وجده المستشار من أغواره
هابطا بالهموم أو مستطارا   داويا بالانين فوق مطاره
زاخرا بالدماء فالحب فيه   متعب يرتمى على احجاره
قابضا كفه على ذكريات   كن بالامس فى رمال قراره
باسمات وهن حول غرامى   مغضبات مضين فى آثاره
ذكريات ، ثارهامن جديد   ستثير الغرام من أوكاره
عابث بالنهى كثير التأبى   حارس غصنه وطيب ثماره
باسم عند مايرانى وحيدا   وخجول اذا مررت بداره
سارح الطرف إذرآنى وصحبى   ذاهل كالغريق فى افكاره

اسجحى ياحبيبتى ففؤادى   قلبٌ كالحياة فى أطواره
قدملكت القياد منه وصارت   بسمات منفيك إكليل غاره
فاحذرى أن يثور بعد سكون   فيطير الغرام فى إعصاره

« المنصور »
نزيل القاهرة

في الادب الفرنسي

الدوق دي لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

كتب أديب فاضل في عدد الرسالة الغراء رقم (٤٠) يقول إن السبب الأول في سقوط روايات كورني الاخيرة يرجع إلى غلو هذا الشاعر « في مبدئه الذي يعني بتصوير الاشخاص كما يجب أن يكونوا ، فجاءت شخصيات قصصه الأخيرة خارجة عن حدود المعقول » ، لا الى اضمحلال قواه الذهنية من أثر الهرم كما ذكرت في مقالي عن هذا الشاعر العظيم . وأعتقد أني محق فيما ذهبت اليه لأن كورني قال عن نفسه بعد فشل قصصه الأخيرة « شعري ذهب مع اسناني » ، ولأن شخصيات قصصه الأولى الخالدة كالسيد وهوراس وسنا تعلو على الضعف الانساني وعلى الرغم من ذلك أبلغت الشاعر قمة المجد وأكسبته لقب : كورني العظيم

ثم قال الأديب الفاضل ان كلمات فولتير : « الشرح الوحيد لكتب كورني يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات في أسفل كل صحيفة ! جميل . جليل . إلا هي ! » ، على ما جاء في كتب الآداب الفرنسية ، قيلت في راسين لا في كورني . وأصر على أن فولتير الذي عرف بالبخل الشديد دفعه اعجابه بكورني الى أن يتبنى ابنة اخته ويزودها بمهر ثم يزوجها . ولم يكفه هذا بل نشر كتبه وشرحها إمعانا في اظهار إعجابه بالشاعر الأكبر ، وكتب في مقدمة شرحه تلك الكلمات . وأرجو من الاديب الفاضل أن يتفضل بارشادي الى كتب الأدب التي ذكرت أن فولتير قال تلك الكلمات في راسين لا في كورني وله مني وافر الشكر

والآن نتحدث عن الدوق دي لاروشفوكو الذي شغل أذهان الناس في عصره وأقلام الكتاب والنقاد في العصور التالية . ولم يخرج هذا الرجل للناس من الآثار الأدبية غير مذكراته شأن أمثاله النبلاء الاغنياء ، وكتاب صغير الحجم عنوانه : « مواعظ أو تأملات وأحكام أخلاقية » جمع فيه كل آرائه في العواطف الانسانية ، بعد أن خيبت الحياة آماله ودكت احداث الزمن صروح أحلامه ، وذهبت الحقيقة المريرة بأوهام طموحه ، فجاءت هذه الآراء معتمة حزينة تلقي على عواطف الانسان رداء من الشك الأليم وتظهرها في صورة بشعة مخوفة ، وهي تتلخص في كلمتين : فلسفة الاثرة . وهذه الفلسفة هي التي حركت الاقلام وأثارت المناقشة ، وألقت باسم صاحبها إلى الاجيال في إطار الخلود

ولا يستطيع الانسان أن يفهم « مواعظ » هذا الكاتب إلا إذا درس حياته وعرف الحوادث التي اشترك فيها ، وتركت في نفسه أثرا عميقا . وهذا السبب سيدعونا الى الاطالة والتفصيل . وسنقسم حياته إلى أدوار ثلاثة : دور الشاب الخيالي ، ودور الرجل الطموح ، ودور الشيخ الفيلسوف

الشاب الخيالي

ولد فرنسوا السادس دوق دي لاروشفوكو بباريس (شارع بتي شان) في ١٥ سبتمبر عام ١٦١٣ . وهو من أسرة عريقة لها تاريخ حربي مجيد ، وتملك ثروة طائلة في (بواتو وانجوموا) ، ومقام آل روشفوكو يلي مباشرة مقام أمراء البيت الملكي . وقد كتب في عام ١٦٤٨ إلى الوزير مازاران يقول : « أستطيع أن أقول وأثبت أن ملوك فرنسا منذ ثلاثمائة سنة يعاملوننا معاملة ذوي الرحم ، ولا يجدون في ذلك عيبا ولا بأسا » ، وهذا يدل على مبلغ اعتزازه بأسرته واعتداده بأرومته

ولما حان وقت تعلمه ، أخذ منه في الريف قسطا ضئيلا ، إذ اتجهت عناية أهله إلى التمرينات الجسدية ليجعلوه من حملة السيف شأن أبناء النبلاء في ذلك العصر . ثم زوجوه وهو في الخامسة عشرة من عمره من فتاة ولدت في حجر صالح ونشأت في خير جزيل ، هي (أندريه دي فيفون) . وقد قال في كبره : « يوجد زواج طيب ، ولكن لا يوجد زواج عذب شهي » . وما لبث بعد زواجه أن اتبع هذا الرأي قبل أن يقوله ، وبحث خارج بيته عن ضروب اللذة التي لا تهيئها العيشة الزوجية . وتناهت أخباره إلى امرأته ، ولكنها صانت عفتها ، ولم يتألفها العبث من نفرتها . وأنجبت له أولادا ثمانية

ثم خاض أول معركة حربية في إيطاليا وهو في السادسة عشرة من عمره . ولما عاد منها دخل البلاط الملكي . وكان الفن السائد

فيه كما قال فولتير ، هو تدبير الدسائس لقهر الوزير الكبير الكاردينال ريشليو . فاستدرج هذا الفن فرنسوا ودفعه إلى أحضان النبلاء الذين كانوا يئنون من سلطان الوزير ويأتمرون به فى كل حين . ورأى بعينيه سطوة الوزير وأنواع العذاب الذى ينزله بهؤلاء النبلاء ليخضعهم للقانون العام ، ولكنه لم يجبن ولم يرجع عن سبيله

وكان فى ذلك الوقت كثير الكبرياء ، طموحا بلا غرض معين ، حى الذهن ، دقيق الملاحظة ، خجولا كلفا بالخيال ، شديد الميل إلى مجالس النساء . وقد لازمه هذا الميل طيلة عمره . وعقب دخوله البلاط اتصل بأحب فتيات الملكة (آن دوتريش) إليها ، وهى الآنسة دى هوتفور التى يحبها الملك لويس الثالث عشر حبا أفلاطونيا . وهذه الصلة عبدت له الطريق إلى اكتساب ثقة الملكة البائسة المضطهدة من جراء الريبة فى نيتها وأغراضها . وقد سببت له هذه الثقة ضررا كبيرا ، كما ذكر فى مذكراته : « أسباب أتفه من هذه كانت كافية لأن تبهر نظر رجل لم يسبر غور الحياة ، وتدفعه فى سبيل ضارة بمصلحته ، وقد جلب على هذا السلوك غضب الملك والكاردينال ريشليه ، وسلسلة طويلة من المحن أدخلت الاضطراب على حياتى »

وفى عام ١٦٣٣ سافر مختارا مع بعض شبان الطبقة العالية إلى محاربة الأسبان فى الفلاندر ، وأظهر فى ساحة القتال من ضروب البسالة والاقدام ما أثار الاعجاب . ولما عاد من الحرب ، أمر بمغادرة باريس والاقامة فى أملاك أبيه ، لأنه اتهم ظلما بأنه أفشى جميع مادار فى الموقعة . ولكنه أدرك ان الملك أصدر هذا الأمر انتقاما منه لصلته بالملكة والقهرمانة دى هوتفور

حرم عليه دخول الحاضرة أربعة أعوام . وهيأت له المصادفة التعسة أثناء ذلك مقابلة الدوقة دى شفريز ، شيطانة الدسيسة كما سماها سانت بيف ، وعقد أواصر الصداقة معها . وقد وصفها الكاردينال دى رتز (١) بأنها « كانت تحوك الدسائس ، لأنها جاءت فى عصر الخداع والختل . ثم اتصلت بالدوق بوكنجهام والكونت دى هولاند فدفعاها فى هذه السبيل ، فاستقادت لأنها كانت تفعل كل مايسر حبيبها . وكانت دائمة الوفاء للغرام ، كثيرة التغيير لموضوعه . وإنى لم أر إنسانا اقل اكتراثا للأخطار ، ولا امرأة أكثر احتقارا للواجب منها . ماعرفت فى حياتها غير واجب واحد : هو أن تحصل على إعجاب صاحبها بها »

وكان ريشليو قد أبعدها الى (دامبير) حتى يقطع الصلة التى بينها وبين الملكة ، ولكنها كانت تأتى لزيارتها خفية ، وتمهد لها طريق الاجتماع بالدوق بوكنجهام الانجليزى فى حديقة اللوفر . وعرف ريشليو هذه الأخبار فأبعد الدوقة الى التورين ، وهناك قابلت لاروشفوكو ، واستطاعت بدهائها أن تستخدمه رسولا بينها وبين الملكة . ولم تقف عند هذا الحد ، بل نظمت مراسلة سرية خطرة بين ملكة فرنسا وملك أسبانيا . وعرف ذلك الوزير الساهر على مصلحة بلاده ، فأوعز إلى الملك ان يطلق زوجه ويخرجها من الأرض الفرنسية

ولما شعرت الملكة بعزم الكردينال ، استدعت لاروشفوكو وتقدمت إليه ان يسهل لها طريق الهرب إلى بروكسل . وهو يقول فى مذكراته عن هذه الحادثة : « لما وقعت فى هذا المأزق لم تجد وفيا لها غيرى وقهرمانتها الآنسة دى هوتفور ، فعرضت على أن أختطفهما وأذهب بهما الى بروكسل . وقد بعثت أخطار هذا العمل والصعاب التى تقوم فى وجه انفاذه سرورا كبيرا فى دخيلتى . كنت فى سن تحبب إلى الانسان أن يأتى أعمالا خارقة ذات دوى عظيم . ولم أجد عملا يرضى هذه السن أكثر من اختطاف ملكة من زوجها ، وفتاة من ملك يهواها ،

ولكن ريشليو أحبط هذه الخطة ، وآلم الملكة جد الالم . وخافت الدوقة دى شفريز بطش الوزير فاعتزمت الهرب . وكانت تجيد ركوب الخيل ، فغادرت مدينة (تور) فى زى رجل ، ومعها خادمان وكان ذلك فى السادس من شهر سبتمبر عام ١٦٣٧ . ولما صارت على مسيرة فرسخ من (فرتى) التى التجأ اليها لاروشفوكو ، أرسلت اليه تقول إنها رجل من النبلاء اضطر إلى الهرب عقب مبارزة ، وتسأله أن يرسل اليها عربة مقفلة وبعض خدم . وما أن ألقى على الرسالة نظره حتى عرف خطها ، ولكنه لم يستطع الذهاب إليها لأن ضيوفه أرادوا أن يصحبوه . وأرسل اليها فى الحال ما طلبت ، فسارت آمنة حتى بلغت حدود أسبانيا . ثم أرسلت اليه جميع حليها

---

(١) ١٦١٣ ـ ١٦٧٩ . قسيس فرنسى مشتهر اشترك فى دسائس البلاط أيام الملك لويس الثالث عشر ، واتبع ثنيات الطرق حتى حصل على رتبة كاردينال ومنصب أسقف باريس . وسجنه عدوه مازاران فى الباستيل ، فهرب منه وهام على وجهه فى أنحاء أوربا وقتا طويلا . ولما استطاع العودة الى باريس عاش فيها عيشة الهدوء والعزلة . وخلود ذكره يرجع الى مذكراته المشهورة التى نشرت فى عام ١٧١٧ والتى دلت على علو كعبه فى الكتابة ودقة الملاحظة وسحر التصوير

وقيمتها ... ر ٢٠٠ دينار راجية منه أن يقبلها منها هدية إذا قضت نحبها ، أو يردها إليها فى أحد الايام اذا قدر لها أن تعود إلى بلادها

وقد ذكر مسألة الحلى فى مذكراته للدلالة على الثقة التى يلهمها وفاؤه ، مع انه ينكر فى كتاب « مواعظه » الثقة النقية الخالصة ويقول : « ليس لنا أن نفخر با كتساب ثقة هى دائما مشوبة بالغرض » وذكر أمامه أحد أصدقائه جاك إسبريه (١) هذه الحادثة وقال يداعب صديقه فى شيخوخته : « مما يثير العجب أن يفخر انسان بأن أميرة لجأت اليه ووضعت بين يديه حياتها وحريتها ، مع أنها لم تفعل ذلك الا خشية الوقوع فى يد العدالة ، وأن يفخر بأن هذه الأميرة ائتمنته على حليها الثمينة وهى خارجة من وطنها ، مع انها لم تفعل ذلك الا فى سبيل مصلحتها الذاتية ، أى حرصا على مالها وخوفا عليه من السرقة فى الطريق ! » وهذا رد ساخر على كتاب لاروشفوكو الذى يرجع كل العواطف الانسانية الى مصدر واحد هو : المصلحة الذاتية أو الأثرة

ثم عرف ريشليو أن لاروشفوكو ساعد الدوقة على الهرب فاستقدمه اليه وأنبه . ولما رأى منه غلظة فى الاجابة على أسئلته ، أرسله الى سجن الباستيل ، ولكنه أمر مدير السجن بأن يتلطف فى معاملته ويسمح له بالاستراضة على الشرف كل يوم . وبعد مرور ثمانية أيام على سجنه ، أطلق سراحه فحمد الله على خروجه بعد هذه المدة الوجيزة فى عهد يحرص الباستيل فيه على حرفائه ، وأنساه شعوره برضى الملكة وقهرمانتها والدوقة عن عمله ، مرارة السجن وقسوته .

وعقب استرداد حريته أمر بمغادرة باريس والاقامة فى (فرتى) وهناك جاءه رسول من الدوقة وتسلم منه حليها ، وعاش فى ذلك الريف عامين هادئاً مطمئنا ، وأصبح بيته ملتقى النبلاء والعظماء . وقد ذكر هذا العهد فى مذكراته فقال « كنت شابا فى ذلك الوقت ، وكان الملك ووزيره يدنوان رويداً من القبر ، فرجوت أن أحصل على خير كثير بعد موتهما وتغير الحال . وكنت سعيداً فى أسرتى ، أحظى بكل مسرات الريف وأجد حولى كثيراً من النبلاء الأغنياء المغضوب عليهم من الوزير ، لهم مثل أمانى وآمالى » .

وهنا يظهر الرجل الطموح فى ثوب الشفيق على ملكة تعسة .

ولما دارت رحى الحرب فى (البلاد الواطئة) ، سمح له بالانضمام إلى الجيش بعد طول إلحاحه ، وأبلى بلاء حسنا فى موقعتى سان نيقولا وسان فينان . وعرض عليه ريشليو رتبة سامية مكافأة له على بسالته فرفض إذعانا لأمر الملكة ، إذ كان فى نيتها أن تجنبه قيد الوزير حتى يستطيع أن يسل سيفه فى وجهه لما تمكنها الظروف من إشهار عداوتها له .

يتبع

حسن صادق



(١) ١٦١١ — ١٦٧٨ . كاتب فرنسى مجيد كان معاصرا لدى لاروشوفوكو وصديقا له وانتخب عضوا فى مجمع العلماء فى عام ١٦٣٩ . وأشهر مؤلفاته كتاب عنوانه « شوائب الفضائل الانسانية » الذى يعتبر شرحا وتفسيرا لمواعظ لاروشفوكو

٣ - بين الموسيقى الشرقية والغربية

بقلم مدحت عاصم

الانغام

يضم جمعا من الخلان حفل يستمعون فيه الى مغنى عذب أو موسيقى شجية ، وقد ملكت الباهم النغمة ، واستأثرت بمشاعرهم المثانى والمثالث ، ولا تتعدى معرفتهم باللحن أو المعزوفة عن أن اسمها كذا ، وأن مؤلفها هو فلان ، ولكن احدهم قد يهتف فى نشوة من الطرب . « ما أحلى هذه الترجيعة « البياتى » أوما أجمل تلك الحركة « السيكاه » ! : فينظر اليه رفقاؤه نظرة تقدير واعجاب ، ويعتدل هو فى جلسته مزهواً مستزيداً من اشاراته وايماءاته ، كيف لا وقد وفق لسر من أسرار الانغام وسيرها ، وأطلع رفاقه على قدر علمه ومعرفته ! ولو عرف الرفاق أن القدرة على تعيين النغمة لمجرد سماعها ، إن أعوزها شىء من الخبرة بالمران ، فهى ليست من الخطر بالقدر الذى يتصورونه ، لاقتصدوا فى تقديرهم واعجابهم .

أما أنا ، فأذكر أنى وقفت فى صغرى الى جلسة ضمت جمعا من الوافدين فى ليلة من ليالى رمضان المكرم ، وقد اجتمعوا حول شيخ مقرىء يسمعهم طرفا من المولد ، وقد استولى عليهم الطرب الممزوج بالخشوع ، ولم يكد ينتهى حتى أسرعوا يكبرون ويمدحون الشيخ المقرىء وبراعته وصوته الحنون القوى . ثم تكلم أحدهم ، وكانت له عند الشيخ مكانة وله عليه دالة ، فطلب قصيدة « يانسيم الصبا » ، وأردف طلبه قائلا « والله ياسيدنا ، انى أحب نغمة الصبا هذه ، ولا أكاد أحبس الدمع عند سماعها . » فهمهم الشيخ ودمدم وأراد أن يرد الحق الى نصابه ويمنع الخطأ أن يروج فقال « يابنى هذه القصيدة من نغمة الحجاز » . وكأنه شعر بقدر الخيبة التى لحقت الطالب فاسرع بانشادها تعويضا له ، فكان هذا أول درس وعيته فى علم النغم ، وكنت بعدها كلما سمعت نغمة طبقتها على « يانسيم الصبا » فان وافقتها فهى حجاز ، وإن خالفتها فعلمها عند الله والراسخين فى العلم . ومن بعد « نسيم الصبا » عرفت أن « مارش » عباس » من نغمة « النهاوند » وأن « ياطالع السعد » « رصد » ، وهكذا أصبحت أقيس كل ما أسمعه على ماعرفته ، وبذا أستطيع تعيين نوع النغمة .

غير أن علماء الانغام يرون أن ميزان الاذن قد لايعدل ، وأن هذه الطريقة الساذجة لاتصح أن تكون حجة علمية دقيقة يعتمدون عليها فى قوانينهم وأبحاثهم ، فهم لذلك يعمدون الى تحليل النغمات تحليلا صوتيا حسابيا ، ويفرقون بين درجات السلم الموسيقى بنسب مضبوطة ثابتة لايعتورها خلل ، ولا تعرض للاحداث والغير

وأرى هنا قبل أن أتحدث عن تقسيم النغم الشرقى والغربى أن أثبت التقاسيم العامة فى السلمين ليظهر جليا تركيب التقسيم فى السلم الشرقى وبساطته فى السلم الغربى .

١ — السلم الغربى (من اليمين الى اليسار تنازليا)

دو - سى - لاديز - لا - صول ديز - صول - فاد - فا - مى - رى د - رى - دو د - دو

والمسافة بين كل هذه الاقسام متساوية فى السلم المقرب Tempéré وهو المستعمل فى العالم الغربى الآن وتساوى نصف مسافة كاملة ١٥/١٦

٢ — السلم الشرقى

| ٨/٩ | | ٢٠٤٨/٢١٨٧ | | ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ | | ٨/٩ |

نوا - تيك حجاز - حجاز - نيم حجاز - جهاركاه - تيك - بوسلك - سيكاه - تيك - كردى - دوكاه - تيك - زنكلاه - نيم - رصد

| ٨/٩ | | ٢٠٤٨/٢١٨٧ | | ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ | | ٨/٩ |

- رصد - تيك - كوشت - عراق - تيك - عجم عشيران - حسينى عشيران - تيك - قباحصار - قباحصار - نيم قباحصار - يكاه

| ٨/٩ || ٢٠٤٨/٢١٨٧ || ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ || ٨/٩ |

نوا - تيك - حجاز - حجاز - نيم - جهاركاه - تيك - بوسلك سيكاه - تيك - كردى - دوكاه - تيك - زنكلاه - نيم - رصد - تيك - كوشت - عراق - تيك - عجم عشير[illegible]ان - تيك قباحصار - قباحصار - نيم - قباحصار - يكاه

| ٨/٩ | | ٢٠٤٨/٢١٨٧ | | ٥٩٠٤٩/٦٥٥٣٦ | | ٨/٩ |

ويراعى فى تقسيم هذه المسافات ، النسب التى ذكرناها تحت باب السلم الموسيقى الشرقى فى عدد أسبق من الرسالة .

وقد رأى موسيقيو الغرب ان كل ما يستعملونه من الانغام ينحصر فى نوعين رئيسيين ، اطلقوا على احدهما اسم النغمة الكبرى Mode majeur والثانى اسم النغمة الصغرى Mode mineur وجعلوا الدرجة الاساسية للسلم الكبير Gamme majeur هى

دو وللسلم الصغير لا . وينسبون اسم النغمة الاساسية فيقال نغمة دو الكبيرة Do Majéur ونغمة لا الصغرى La Mineur ولا باس من أن نوضح هنا نسب المسافات بين الدرجات فى سلمى النغمتين

النغمة الكبرى دو $\frac{8}{9}$ رى $\frac{9}{10}$ مى $\frac{15}{16}$ فا $\frac{8}{9}$ صول $\frac{9}{10}$ لا $\frac{8}{9}$ سى $\frac{15}{16}$ دو

النغمة الصغرى لا $\frac{8}{9}$ سى $\frac{15}{16}$ دو $\frac{8}{9}$ رى $\frac{9}{10}$ مى $\frac{15}{16}$ فا $\frac{8}{9}$ صول $\frac{9}{10}$ لا

وقد جعلوا شرطا فى كل لحن أن ينتهى بالدرجة الاساسية Tonique . فنى نغمة دو يجب أن تكون آخر درجة فى ختام اللحن هى دو وكذلك فى لا . كما أنهم أباحوا للملحن أن يختار أى درجة من درجات السلم الموسيقى لتكون درجة اساسية للحن مع مراعاة النسب المفروضة للنغمة المستعملة سواء أكانت الكبرى أم الصغرى ، وجوب انتهاء اللحن بالدرجة الاساسية .

وقد رؤى بعد ذلك أن هناك نوعين من النغمة الصغرى احداهما تشابه النغمة فى ... هبوطها، والأخرى يختلف السلم هبوطا عنه صعودا اذ يرفعون موقع الدرجة السادسة نصف مسافة فى الصعود، وعند الهبوط تكون النسب بين الدرجات هى نفس نسب النغمة الكبرى وسميت النغمة الاولى بالصغرى المطربه Mineur Mélodique والثانية بالصغرى المتوافقة أو المتجانسة . Min. Harmonique كما فرضوا أن من الشروط اللازمة فى علم الانغام ان المسافة التى بين الدرجة السابعة والثامنة يجب ان يكون مقدارها نصف مسافة ، كاملة وسميت الدرجة السابعة فى السلم بالدرجة الحساسة Note Sensible – وان كنت لا ادرى مصدر هذه التسمية – واحسب ان علماء النغم انفسهم لا يستطيعون لذلك تفسيرا دقيقا .

هذا فى الموسيقى الغربية ، اما فى الموسيقى الشرقية فشد الله ازر المشتغلين بالانغام فيها ، ويسر لهم من امرها ماعسر ، فلا قاعدة عامة ، ولا نغمات معدودة محصورة يسهل على الفكر ادراكها وتحديدها . وانما هى نغمات تعد بالمئات ، ولكل نغمة قاعدتها الخاصة أو قل قواعدها فى ترتيب النسب لمسافاتها ودرجاتها . ولذا يستحيل علينا ان نجد عالما شرقيا ، مهما بلغ به العلم ، قد الم بكل هذه النغمات واحاط بها . وليس هذا يعنى ان كل النغمات فى الموسيقى الشرقية عسيرة المطلب شاقة المنال ، بل ان فيها من الانغام مايستطيع الموسيقى العادى ان يلم بها بدون حاجة الى جهد او كبير عناء . بل إن من هذه النغمات ما يجعل الموسيقى الغربية فى ياس قاتل لعدم بلوغها تلك المرتبة من دقة التقسيم وعذوبة التوقيع وحساسة الاذن

وفى الموسيقى الشرقية اختلاف عن بساطة التسمية للنغمات الغربية فقد قلنا فى النغمات ان النغمة الكبرى او الصغرى يصح ان تتنقلا على كل درجات السلم محتفظتين باسميهما مع نسبة اسم الدرجة التى تعتبر أساسية الى النغمة . اما فى الموسيقى الشرقية فلا يمكن حصر النغمات . ولنأخذ مثلا النغمات التى درجتها الاساسية الرصد، وأولها نغمة الرصد ، ثم السوزناك والحجاز كار والنهاوند والنوا أثر والنكريز وطرزنوين والساز كار ، وهكذا الى حوالى الثلاثين نغمة . ، ولا يقتصر الامر على هذا . وينهج النهج الغربى عند اعتبار درجة اساسية اخرى غير الرصد للنغمة بل يزداد التعقيد ، فمثلا نغمة الحجاز كار ودرجتها الاساسية الرصد وسلمها الموسيقى كما يلى :

كردان $\frac{2048}{2187}$ أوج حصار $\frac{2048}{2187}$ نوا $\frac{8}{9}$ جهاركاه $\frac{2048}{2187}$ سيكاه $\frac{2048}{2187}$ زيركوله $\frac{2048}{2187}$ رصد $\frac{243}{256}$ × $\frac{8}{9}$

فلو اتخذنا درجة الدوكاه اساسا لهذه النغمة فان اسمها يتغير ويصبح مشهناز ، ولو اتخذنا نفس هذه النسب ايضا لدرجة اساسية هى الحسينى عشيران لتغير اسم النغمة وأصبح سوزول وباتخاذ درجة اساسية هى العراق يصبح اسم النغمة اوج أرا ، ويقول الراسخون فى علم الانغام الشرقية – ولسنا نعرض لقولهم الآن – ان هذا التركيب والتعقيد فى اختلاف اسماء الانغام وتنوعها مع تشابهها لهو عقدة فنية محبوكة ، والفخر كل الفخر لمن استطاع ان يلم من هذه الانغام باكثرها تعقيدا واكثرها غرابة فى الاسم والتصوير ، ثم يعللون هذا أيضا بأن تلك الانغام وان تشابهت حقا فى ترتيب سلمها فان هناك اختلافا بسيطا فى سير النغم عند الصعود او الهبوط .

هذا أبسط مثل لنغمة واحدة فى انتقالها على ثلاث درجات مختلفة ، ولو اردنا ان نحصر عدد الانغام التى يمكن تكوينها على درجات السلم الشرقى وعددها اربع وعشرون – من النغمات التى درجتها الاساسية هى الرصد فقط لاحتجنا الى خبير حسابى ليستعين بعمليات التباديل على اجابتنا الى ما نرغب . ولما كان الغرض من هذا البحث هو التعرض بوجه عام الى الفروق الظاهرة بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، فانا نرجىء التكلم عن محاسن ومساوىء الموسيقى الشرقية الى أجل قريب .

مدحت عاصم

العلوم

ويسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكى

— ٣ —

سطح القمر

إذا اعتمدنا فى حكمنا على الأمم القديمة من مصرية وكلدانية وهندية وفارسية على المرقوم مما خلف التاريخ، واعتمدنا عليه وحده، خرجنا على أن هؤلاء القدماء وُفقوا الى دراسة مدار القمر دراسة دقيقة كشفت عن أهم الصفات الخاصة بهذا المدار، أما رأيهم فى القمر نفسه، ماجوهره وماذا عليه؟ فلم يصلنا مما قد كانوا علموه من ذلك شىء.

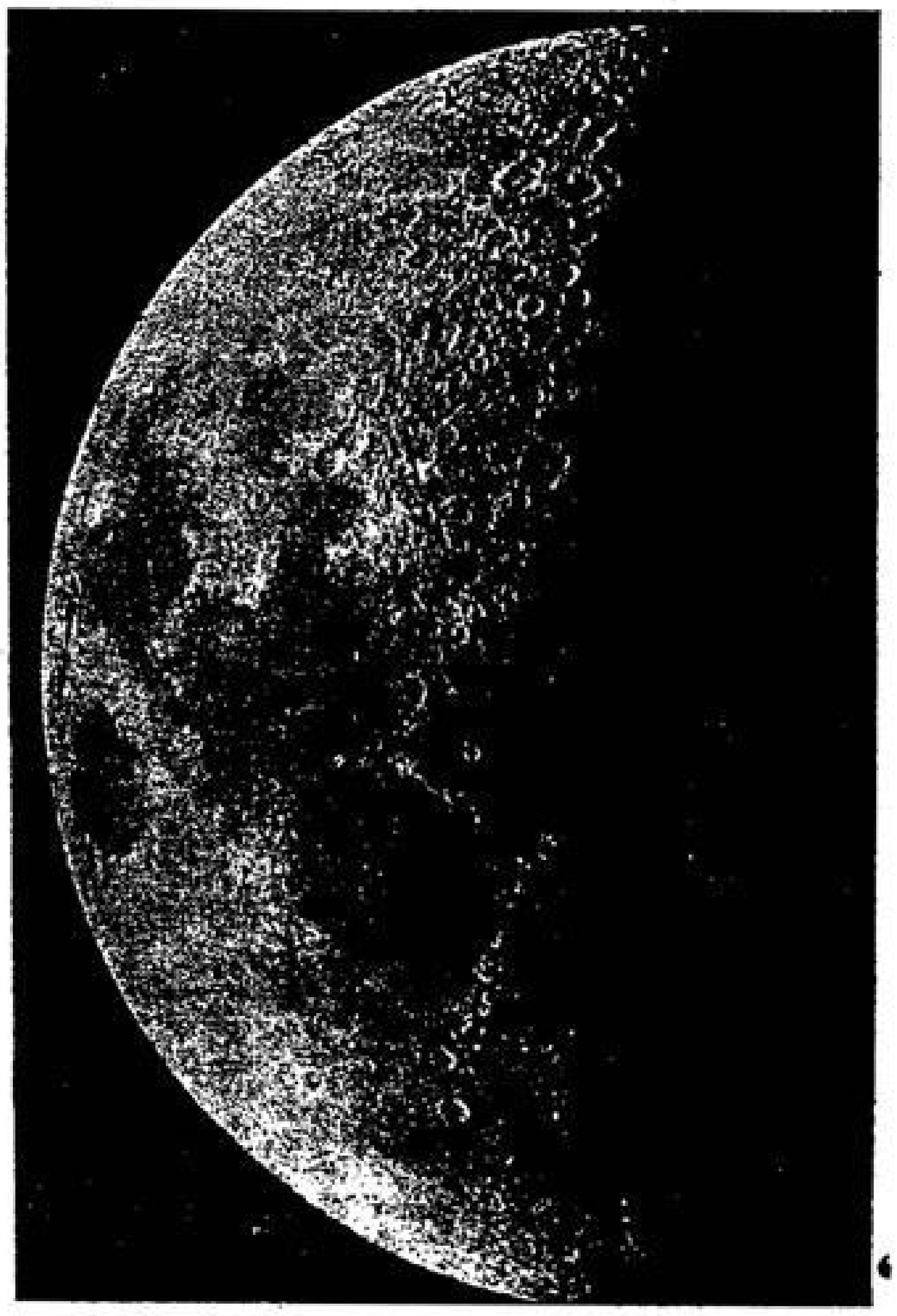
ومن أقدم مانعرف فى هذا الصدد ماارتآه العالم الاغريقى طاليس Thales (٦٤٠ - ٥٥٠ ق م) فقد ارتأى ان القمر ان كان أكثره من الشمس، فان بعضه يخرج بالاشعاع من القمر نفسه. ودلل على ذلك بأن الأجزاء المعتمة من الأقمار الجديدة والأهلة لا تُعتم كل الاعتام، بل يبقى فيها برغم حتجابها عن الشمس بقية قليلة من ضياء تتبينها العين.

ومن القدماء الفلاسفة الفيثاغوريون علّموا أن القمر كرة بلورية ملساء ينعكس منها الضياء كما ينعكس على المرايا، وتتراءى فيها صور الأشياء كما تتراءى فى المزايا، فالمناطق التى تظهر على سطح القمر بيضاء ناصعة، أو سمراء داكنة، ليست الا صورة الكرة الارضية انعكست فيه ببحارها وخلجانها، وجبالها ووديانها، وتابعهم فى ذلك أرسطو، فأظهر جهلا كجهلهم تاما بأبسط قواعد الضوء وانعكاساته، وبما لا شك كان معلوما فى هذا العصر من الحال التى عليها دار القمر. فهذه القواعد الضوئية والمعلوم من المدارات القمرية لا يمكن أن يؤلف بينها العقل العادى - بله عقل أرسطو - وبين أن القمر يُرينا دائما وجها واحداً وصورة واحدة لا تتغير. فلو أنها كانت صورتَنا تنعكس الينا لتغـيّرت حتما باختلاف أوضاعنا وأوضاعه

وسبق هذه الآراء وتخللها وتبعها آراء أخرى للاقدمين كثيرة، كان من الطبيعى أن تحظى من الخيالى بحظ أكبر من الحقيقة لعجز العين الانسانية عن استيضاح ماهنالك.

ثم جاء جاليليو، وفى مايو عام ١٦٠٦ م وجّـه الى القمر أول منظار صنعه، فعلم من تلك النظرات الأولى أن لاملاسة فى سطح القمر، وأنه سطح خشن فيـه خروج وفيه دخول، وفيه تكسّر وفيه انحناء والتواء. ثم تهيأ له منظاره الأكبر فحرّره اليه، فرأى لأول مرة جبال القمر تمتد فى سلاسل كسلاسـل الأرض، تدور على الأغلب فى حَلق يضيق ويتسع. ورأى على حافة الاهلة الداخـلة نقطا لامعة فى بقع سوداء، عرف أنها قمم الجبال، نالتها وحدها الشمسُ فأضاءت، بينما الوديان المحدقة بها فى ظلام بهيم، وتتبع ظلال تلك الجبال القمرية فوجدها تطول وتقصر، كما تطول وتقصر الجبال الارضية بشروق الشمس عليها وغروبها عنها. انمـا الذى حيّره ان جبال القمر ووديانه كانت تنير بغتة، وتظلم بغتة. كانت تعرف البياض الخالص والسواد الخالص، وتجهل مابين هذين الطرفين من درجات،

بينما جبال الأرض لا تكاد تنالها الشمس حتى يصيب الوديان



من نورها نصيبٌ ولو ضئيلا . حيرةٌ احتارها جاليليو من تلك الحيرات الغوالى التى كثيرا ما تنكشف عن حقيقة غالية ، حيرة نعرف الآن انها كانت أول دليل على أن القمر لا جو له ولا هواء يلفه كهوائنا ، فان هذا الجو الارضى ، وهواء دنيانا هذا الذى نعيش فيه ، يكسر أشعة الشمس إذ تمر فيه فينشرها وينال بها فيما ينال مواقع تلك الظلال التى لولاه لكانت سوداء كالليل ، وظلماء كالظلال على القمر

واستخدم جاليليو أطوال تلك الظلال فى تقدير أطوال الجبال وخرج من ذلك على نتائج وارتأى أول من رأى فوّهات القمر ، وهى جبال كالبراكين الارضية تتقور قممها كالجفان ، شبّهها كما تراءت له بالعيون على ذيل الطاووس

ورسم جاليليو خريطة للقمر تحكم له بالحذق وتقضى له بالمقدرة ، اذا ذكرنا ان منظاره لم يكبّر أكثر من ثلاثين ضعفا ، ولكن فاق خريطته فى الاتقان وسبقها فى التفصيل ما تلاها من خرائط الباحثين ، فاصبحت هى ولا قيمة لها الا المتعة بالقديم .

تبع جاليليو رجال نذكر منهم هيفيليوس Hevelius وريكسيونى Riceioni وكسينى Cassini وشروطر Schröter ولوهرمان Lohrman وبير Beer ومدلر Mödler و وب Webb وشمت Sohmidt ، بحثوا القمر ، فزادوا فى قوة المنظار ، وأكثروا من رؤية التفاصيل ، ودوّنوها على الورق تارة وعلى المعدن تارة أخرى ، وبذلوا فى ذلك مجهودات كبيرة ، وصبروا وصابروا على المشقات الكثيرة ، لاسيما مشقة العين وجهد البصر وألم التحديق

وانتصف القرن الثامن ففكر القوم فى استخدام الفوتوغرافيا فى تصوير الاقمار والنجوم فكانت فتحا جديدا .

يتبع — أحمد زكى

ملاحظة : وقع فى المقال السابق من العدد الماضى الأخطاء المطبعية الآتية :—

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٧٥١	١٧ (النهر الاول)	والمحيط العاصف	: والمحيط العاصف Oceanus procellarum
٧٥١	١٩ (النهر الثانى)	العالما	العالمان
٧٥٢	٦ (النهر الاول)	دار بمنطاده	دار بمنظاره
٧٥٢	٦ (النهر الثانى)	Hoar	Hoax

٦ - فى البحوث الروحية

للأستاذ عبد المغنى على حسين
خريج جامعة برمنجهام

ما هو النوم ؟ ثقل يداعب الرأس ، ثم تطبق الاجفان ، وينعدم الحس ، وتهدأ حركة القلب ، ويبطؤ التنفس ويكون عميقا ، وتهبط حرارة الجسم شيئا قليلا . أما المخ فيتوقف جزء منه عن العمل ، فيغيب ما يسمى بالعقل الواعى ، وينفرد بالامر العقل الباطن . والاحلام أكثرها أحاسيس ، تغزو جسم النائم من خارجه ، أو تتولد فى داخله ، فتبرق بها الاعصاب الى العقل الباطن ، فيقرؤها بلغة قصصية رمزية ، ويأخذ من سالف الذكريات ، وكامن المخاوف والرغبات ، فيكمل الاقاصيص ، يحوك أطرافها . فى الاحلام شواذ ، ولكن أكثرها من هذا النوع

هذا هو النوم الطبيعى ، هدنة يتخذها العقل الواعى . وهناك نوم اصطناعى ، هو المعروف بالنوم المغنطيسى ، ظاهرة اكتشفها فى القرن الثامن عشر طبيب ألمانى يسمى مزمر Mesmer ، وباكتشافها انفتحت للاحتيال سبل جديدة ، أتاها الدجاجلة يهرعون ، من كل موفور الذكاء منقوص الخلق ، فأساءوا إلى العلم ، وفوتوا على الانسانية النفع ، وفجع الرجل فى اكتشافه وساءت سمعته ، وقضى على أساليبه . ولكن لما كان الشيء الحقيق لا ينعدم ، عاد العلم فى أواخر القرن التاسع عشر فتناول الظاهرة المزمرية بالدرس من جديد .

فى النوم المغنطيسى لا يغيب العقل الواعى من تلقاء نفسه ، بل بتأثير ضغط يقع عليه من عقل آخر . فاذا نظر المنوم فى عينى القابل للنوم ، أحس هذا بعد حين بثمل فى الجفون ، ثم يغمض ، ويفقد الحس ، وتسترخى عضلاته ، ويقع فى سبات يختلف عن النوم الطبيعى فيما يأتى : —

١ — لا يكون العقل الباطن مرامستقلا كما فى النوم الطبيعى بل يكون عبدا طائعا للشخص المؤثر ، يأتمر بجميع أوامره ، ويتلق منه كل فكرة كأنها تنزيل . ويمكن تشبيه الجسم فى النوم الطبيعى بمملكة غاب مليكها باختياره ، وترك آلة الحكومة تدير نفسها ، على أن يعود اذا استدعت الحال ، أما فى النوم المزمرى فقد قهر الملك ، وكبل عنوة بالاصفاد ، فطبيعى أن تقع حكومته لعبة فى يد القاهر . هذا تشبيه فقط ، والذى يحدث على أى حال هو أن المتأثر يصبح للمؤثر أطوع من بنانه .

٢ — لا يستيقظ المتأثر من سباته إلا بأمر من المؤثر ، ولا يستيقظ من تلقاء نفسه ولو قطع اربا .

كيف يحدث هذا التأثير المزمرى ؟ لا تعرف الآن علة حدوثه على التحقيق ، وخير ما يقال فى ذلك هو أن الفكرة القوية تثير أمواجا كهرطيسية حادة تنتقل فى الأثير ، وان المؤثر عندما يحدق فى المتأثر يصليه من هذه الموجات شواظا ينصب على مراكز الوعى فى مخه فتخدر . وقد استجدت بحوث تجريبية تشهد لهذا الفرض إلى حد ما ، من ذلك ما أذاعه منذ شهور البروفسور فرديناند كازيمالى أستاذ الامراض العصبية بجامعة ميلانو ، من أن موجا كهرطيسيا يتشعع من الجسم البشرى عند اضطراب النفس ، وأنه استقبل هذا الموج بآلة سينمية ، فوجده مما يؤثر فى الاشرطة الحساسة .

مهما تكن العلة فالنوم المغنطيسى حقيقة واقعة ، وهو أداة خطرة اذا أريد منه الشر والعبث ، كما أنه نافع فى علاج العادات الذميمة ، وشفاء أمراض عصبية ليس سببها تلفا ماديا فى الاعصاب .

هذان ظرفان يغيب فيهما العقل الواعى — ظرف النوم الطبيعى ، وظرف النوم المزمرى — ونود أن نتحدث عن ظرف ثالث . من الناس من تطرأ عليه حال عصبية ، فتعتريه تشنجات ، ثم يفقد الحس ، ويبدو كأن عقليته تغيرت ، فيأتى من الاقوال والافعال ما ليس من عادته ، كان يدلى برغبات لم يكن يبوح بها ، أو يوجه عنيف الكلام الى أهله ومن هم موضع احترامه ، ويحتج على إهانات تافهة لحقته ولا يكاد يذكرها أحد ، ثم ينتفض فيعود إلى نفسه ، ويدور بعينيه فيما حوله ومن حوله ، لا يدرى ما حدث ، ولا يذكر حرفا مما قيل .

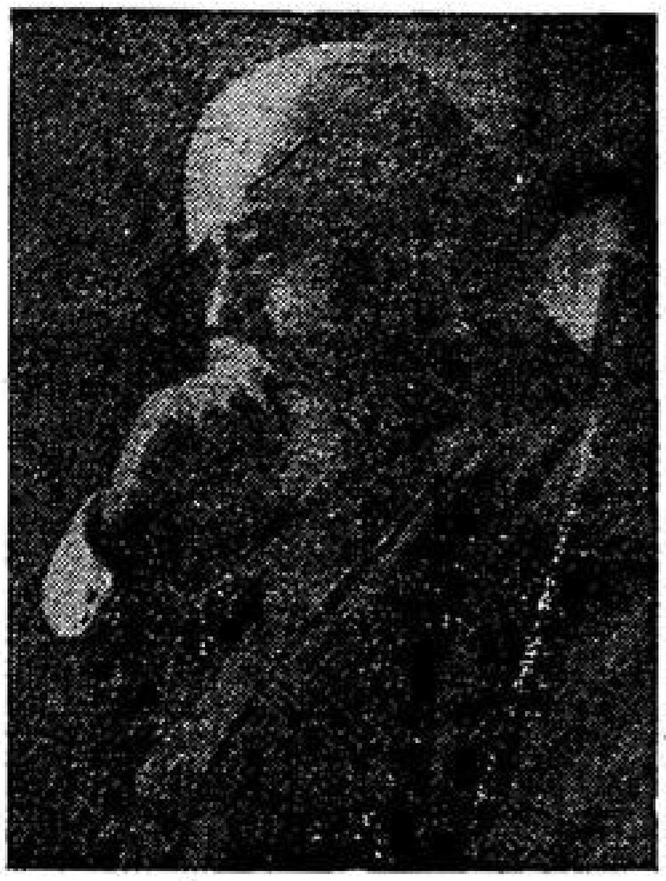
تشاهد هذه الظاهرة ، وتفسيرها سهل ، لأن كل ما يلفظ المريض من قول لا يتعدى سابق اختباراته ، والطبيعى من رغباته ، فالمسالة إذن ثورة داخلية ، يتغلب فيها العقل الباطن على العقل الواعى ، ويحكم برهة حكم طيش واضطراب ، ثم يهبط ثانية الى مستقره ، ويعود العقل الواعى من غيبته . هذه الظاهرة مرض عصبى ، يضمه الطب الى أنواع الهستريا ، وسببه رعب أصاب

الشخص فى طفولته أو نحو ذلك ، فاختل التوازن بين قوى أعصابه ، وغدا عقله الواعى مزعزع السلطان .

تلك حالات ثلاث يغيب فيها العقل الواعى . ولكن الحال الثالثة (الهستريا) ليست من البساطة كما ذكرنا . فمن هذا النوع أمثلة نادرة وعجيبة . أمثلة لا تدخل فى الحقيقة فى اختصاص الطب ، لأن صاحبها لا يشكو مرضا ، تاتيه النوبات من غير ألم ، ويتحدث اليك فى ذهوله حديثا هادئا متزنا من غير انفعال ، زاعما انه شخص آخر غير نفسه ، قد يكون امرأة فتنتحل فى ذهولها شخصية رجل ، أو العكس ، وقد يكون صغيرا فيحدثك حديث حديث الكبير أو العكس ، فاذا عاد الى نفسه لم يتذكر شيئا مما كان ، واذا عاودته النوبة برزت شخصيته الثانية بذاكرتها الخاصة ، وخبرتها الخاصة ، وحكمها الخاص على الأمور ، وأذواقها وميولها الخاصة ، وتبدأ حديثها معك من حيث انتهيتما فى المقابلة السابقة ، وبالاختصار تشعر انك تعاشر شخصين مستقلين أحدهما أساسى والآخر يأتى فى الفينة بعد الفينة .

هذه الحال يعرفها علماء النفس ، ويسمونها الشخصية المزدوجة Dual Personality . ويصح ان يتكلفها البعض لغاية فى النفس ولاسيما اذا كان من ورائها كسب ، ولكن اذا شوهدت فى أسرة لا تتجربها ، كما هو حال اللادى كونان دويل ارملة سير ارثر كونان دويل المؤلف الانجليزى المعروف والباحث الروحى الكبير ، فالدجل غالبا لا محل له ، وقد خبرت هذه الحال فى فتاة كانت فى سن لا تعرف التكلف الى هذا الحد ، وما كان لها فيه مارب . أما الشخص الذى يرزق هذه الخاصة فسوء الظن به واجب ، وامتحانه يتحتم . ومن وسائل امتحانه ان تأتيه من الخلف على حين غرة وتغرز فى جسمه إبرة ، فان كان متكلفا فسيفزع من غير شك مهما كان جلدا . وقد وجد الباحثون أن من هؤلاء الناس من تضربه الأبرة من الخلف مفاجأة (بمعرفة طبيب) وهو ماض كأن شيئا لم يحدث ، فهو فى ذهول حقيقى . ولما كان جمهور الناس يعجز عن التفريق بين الحقيقة والدجل ، فالارتزاق بهذه الخاصة ومثلها يؤدى إلى فوضى ومآس خلقية ، وتحريمه واجب من غير شك .

ما تعليل هذه الظاهرة العجيبة ، ظاهرة الشخصية المزدوجة ؟ ليس لدى علماء النفس تعليل لها ، ومن يتصد لتعليلها منهم يستعر لها علة الهستريا ، ويعتبرها تبادلا للسلطة بين العقلين الواعى والباطن ، ولكن فى سلم وهدوء . أما اتزان الشخص فى ذهوله ، واكتمال شخصيته الثانية ، وما قد تنم عنه أحيانا من سمو وسعة علم وتهذيب يفوق بكثير مستوى الشخص الأصلى ، فيعزونه الى أن العقل الباطن بحر لم يعرف بعد مداه ، ولا ما قد يحوى من علم وخلق كامنين ، اتياه من طريق الوراثة ، أو تجمعا فيه بطريق التلقائى



سر اليفر لدج

ولكن عددا من الباحثين الذين انقطعوا لدراسة مثل هذه الظاهرة يذهبون إلى تفسير آخر ، وهو أن الشخصية الثانية روح مستقلة عن الشخص الأصلى ، تستطيع بكيفية تشبه التأثير المزمرى أن تنيمه ، وتتسلط على عقله الباطن ، فيكون أداة اتصال بينها وبيننا ويزعمون أنه بهذه الوسيلة يمكن وأمكن التخاطب مع أرواح الموتى . فما يسميه علماء النفس بالشخصية المزدوجة يعتبره هؤلاء الباحثون نوعا من الوساطة الروحية ، ويسمونه وساطة الذهول Trance Mediumship.

يتضح مما سبق أن الخلاف على تعليل هذه الظاهرة العجيبة كبير ، وأن الباحثين حيالها شيع ثلاث .

فهناك المطمئنون إلى تركها شاغرة من غير تعليل ، لفرط غموضها ولكن ليست هذه بالروح العلمية ، إذ الواقع أن تعليلا خاطئا خير من لا تعليل ، فهو يفتح باب البحث على الاقل ، ويقود يوما ما الى التعليل الصحيح .

وهناك الذين يعزونها إلى العقل الباطن ، وهو رأى يستمد قوته من المحافظة على المذهب المادى ، وتلافى كل افتراض روحى وفيما عدا ذلك لا يوجد مايؤيده .

وهناك القائلون بالفرض الروحى ، وهؤلاء يبنون أقوالهم على درس وتجريب طوال نصف قرن أو يزيد ، وفيهم رجال يزنون القول ويقدرون المسئولية ، مثل سر أليفر لدج ، فنفى أقوالهم ليس باليسير ، سيما إذا كان النفى من غير اختبار ؟

عبد المغنى على حسين

القصص

٦ - شهر بالغردقة

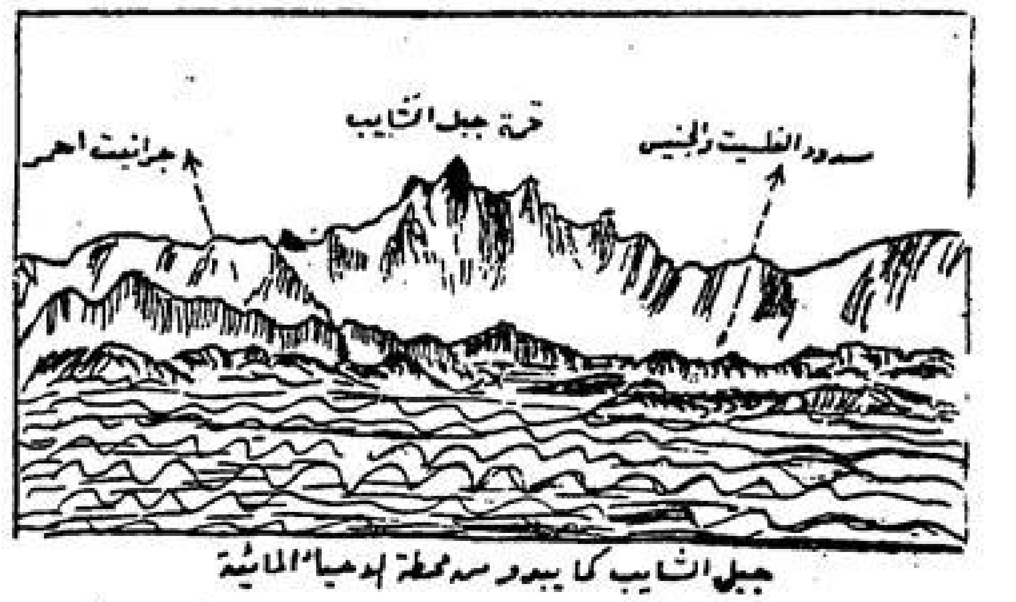
تتمة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

عند جبل الشايب

كان من عادتى فى أثناء الاقامة بالغردقة أن أقف ساعة فى الصباح ومثلها فى الاصيل امام نافذة الاستراحة اشاهد منها جبل الشايب لامتع النظر بجمال لا يراه عادة فى جبال وادى النيل ، وكان منظر القمة وهى جاثمة فوق هامات الجبال فى جلال وروعة ومن حولها قمم جبال أم عنبه ، وعتلم ، وكحيلة وغيرها ، كأنها الصغار حول الاب الجبار يوحى الى النفس بشعور الكبرياء والعظمة . وجبل الشايب لا يبعد عن



جبل الشايب كما يبدو من محطة الاحياء المائية

محطة الاحياء المائية كثيراً ، فالمسافة بينهما ٤٥ كيلومتراً تقطعها السيارة فى نحو الساعتين فى طريق ممهدة ، وقد ذهبنا اليه يوم الجمعة ٢١ يوليه فى ثلاث سيارات تحمل احداها الخيام والزاد — كان اليوم راكد الهواء شديد الحرارة ، فنصبنا الخيام فوق ربوة على سطح أم دلفة أحد مساند جبل الشايب بالقرب من بئر أم دلفة ، والبئر عبارة عن حوض فى جدار الجبل تظلله الصخور ، وينضح اليه الماء من شقوق وعيون فى الصخر ، فاذا فاض الحوض تدفق ماؤه الى فجوة أسفله ، ومن الحوض يستقى الاعراب ، ومن الفجوة تشرب الابل والمواشى . والوادى حول البئر كثير العشب وافر الكلأ ، تظلله الاشجار وتسبح فى جوه الطيور والعصافير

وبعد راحة قصيرة حاولت وبعض الرفاق التسلق الى قمة أم دلفة ، ولكن صعوبة المرتقى وحرارة الشمس جعلتا الصعود شاقا منهكا فاكتفينا بمرحلة متوسطة ، وعدنا أدراجنا ، وفى العودة التقيت عند البئر بشاب من سكان المنطقة وهو من عرب معاذة ، أسود البشرة ناحل الجسم ، دقيق العظم ، وكان معه جمل يحمله بقرب الماء : فقلت له يا أخا العرب : هل من وسيلة الى قمة الشايب فقال : ان الطريق اليها طويلة شاقة ، كثيرة الالتواء والعقبات لا يعرفها الانفر قليل منا فلا تطمع فى الوصول اليها وحدك ، ثم إن الصعود اليها يستغرق يوما كاملا ومثله للنزول . فقلت كيف ذلك؟ فقال هكذا يقول من صعدوا اليها ثم سألته عن حال البادية فأجاب ، كرب وشدة ، فانحباس المطر إحدى عشرة سنة متعاقبات أجدب الوديان حتى كادت تعرى من الأخضر واليابس ، وغاض ماء الآبار وجف كثير من العيون ، وتفرقت البيوت فقوم منا لحقوا بوادى النيل ، وآخرون أوغلوا صوب الشمال ، وبقية بدا لها أن تتشبث بوطنها مثوى الآباء والأجداد ، برغم ما تعانيه من شظف العيش وما تلقاه من حرمان . يعملون هكذا فرارا من معرة الهجرة وهوان الارتحال . فقلت : وما بعد ذلك فقال ، سنبقى هنا بالتوكيد حتى يقضى الله أمره فينا . ثم أطرق برأسه وهو يقول فرج الله لا بد قريب ، فقلت صدقت يا أخى ، اصبر فان الله لا ينسى عباده ، فعلت وجهه ابتسامة اطمئنان ويقين . وبعد حديث طويل عن الجبال وأسمائها ومسالكها والعيون وأما كنها سألته عن حيوانات المنطقة ونباتاتها فقال ، يعيش هنا

الغزال والنيتل والثعلب والارنب والخروف الوحشى ، والاخير كان كثيرا ، ولكنه رحل عنا منذ أجدبت الوديان . وعندنا من الطيور العصافير والغراب والصقر وغيرها ، ومن الحشرات الثعابين والعقارب والزنابير والخنافس والذباب والنحل وغيرها ، ومن النباتات الشيح والسيال (السنط) واللصف واليسر والقطنة (ذات رائحة شديدة كريهة) والحرجل (يستعمل دواء للمغص) والجتيات والمرغادة والأراك وغيرها

قلت ، وهل تستفيدون من هذه النباتات ، فقال نعم ؟ فلكل نبات فائدة نعرفها . ثم اننا نجمع الشيح ونبات المسواك وحب اليسر ، ونبيعها فى قنا ، ومن خشب الطرفا ، وهى شجرة الاثل نصنع الفحم وقد كانت له سوق رائجة ، ولكن الطلب عليه الآن قليل . ثم قال اننا قوم ذوو همة تتاجر فى الاغنام والابل ، وننقل التجارة على الجمال من قنا الى الغردقة ، ونستخرج بعض المعادن من الجبال ونبيعها فى السويس ، وهكذا ، فاذا كانت المراعى قد أجدبت فان نشاطنا لم يضعف وعزيمتنا لم تفتر

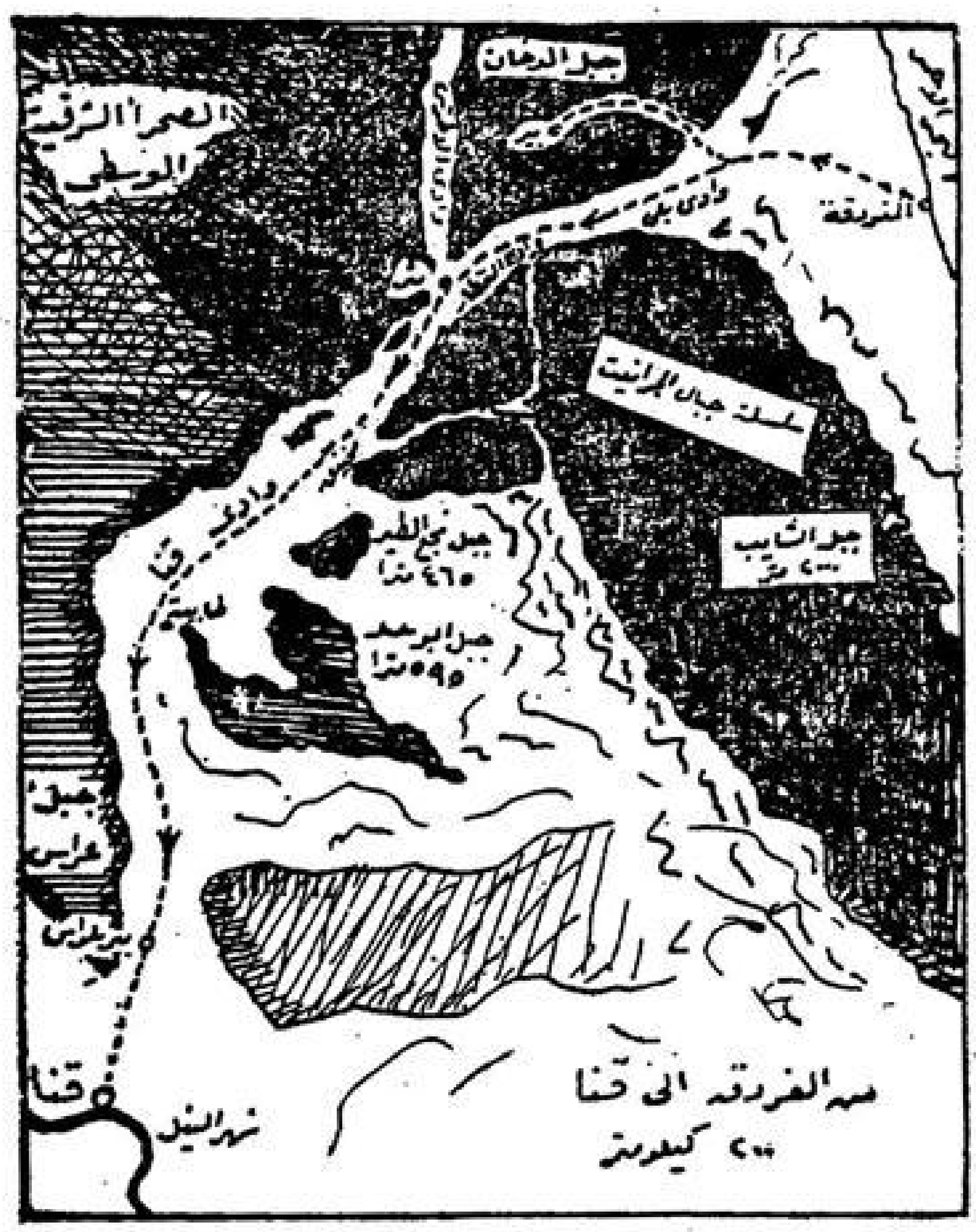
وجبال الشايب وما حولها تبدو من الغردقة متلاصقة وقممها متجاورة الا أنها فى الحقيقة متباعدة تخترقها الوديان والسهول وتشقها مجارى السيول فى كل صوب . وعند الاصيل انطلق الهواء واعتدل الجو فتفرقنا بين الجبال وأخذ بعضنا يتبارى فى الرماية بالبنادق واصابة الهدف ، وقبيل الغروب عدنا بسلام

من الغردقة الى قنا

قضينا الاسبوع الأخير من اقامتنا فى الغردقة فى إعـــداد الصناديق وحقائب السفر استعداداً للعودة . وكانت الأيام تمر سراعا ويوم الرحيل يدنو مسرعا ، وقد أشفقت أن نعود من غير أن أتمكن من الذهاب الى قنا عن طريق الجبل ، ولكن تهيأت الفرصة قبل الرحيل بأيام قلائل فحمدت الله على توفيقه .

وطريق الجبل الى قنا طويل شاق تقطعه السيارات عادة فى ثلاث مراحل : الأولى من البحر الى مدخل الجبال وطولها نحو ٤٠ كيلومتراً ، وهى عبارة عن ساحل كثير الحزون والتلال ، والمرحلة الثانية منطقة الجبال نفسها وطولها ٧٠ كيلو متراً . والمرحلة الثالثة من باب مخنق الى قنا فى وادى قنا العظيم وطولها مائة كيلو متر

وتشتد الحرارة صيفاً فى الطريق أثناء النهار لدرجة لا تطاق



فكان لابد لنا من القيام من الغردقة ليلا : ففى الساعة الثالثة صباحا كانت تسير بنا السيارات نحو الجبال فى طريق صاعدة كثيرة العقبات . وكان الظلام حالكا ، والسكون رهيبا شاملا ، وهواء الليل باردا منعشا ونحن جلوس فى صمت عميق ، شاخصة أبصارنا نحو مقدم السيارة تتابع ضوءها الكشاف وهو يجلو أمامها الطريق ، والسيارة تجاهد مندفعة بسرعة أربعين ، والسواق رزين قد استجمع كل حواسه فى عينيه ، وكل قوته فى يديه وقدميه ، يقودها باهتمام وحذر ، يتلمس الطريق فى جوف الليل بمهارة وحذق نادرين — مرت علينا هكذا ساعتان ثم لاحت تباشير الفجر وقد دخلنا منطقة السدود ، فكان الطريق بينها خطرا يتلوى فى ضيق وانفراج ، ثم بزغت الشمس على القمم والروابى فكان منظرا بديعا حقا : فجبال شامخات قائمات فى استقامة كالجدار ، تعلوها هامات كالسهام تناطح السحاب ، وقد بدت اطرافها فى بوادر الشفق حمراء قانية كأنها تتوقد فى أتون من نار ، والجبال من تحتها والثنايا والحنايا من حولها فى لون ازرق داكن كأنها الدخان الكثيف — ثم علت الشمس . واصفرت الاشعة فبدت القمم كأنها اهرام من ذهب فوق قواعد من رصاص ، واخيرا انقشع

الظلام واشرق النور فتوارى جمال السحر ليتجلى جمال الطبيعة فى حلة الصباح،فكان أشد فتنة وابلغ اثرا — كنا حينئذ نسير فى وادى (بلى) وعن يميننا جبل الدخان (١٨٠٠ متر)وعن يسارنا جبل القطار والوادى بينهما ضيق عميق يخترق الجبال من الشرق الى الغرب ، وهو كثير العشب والأشجار ، وقد أقام الرومان على مدخله من جهة البحر قلعة للحراسة ، وهى الآن انقاض لم يبق من معالمها الا الجدران - ويتفرع من وادى بلى عند وسطه وادى البديع ، وهو يخترق جبل الدخان وينتهى عند بئر البديع حيث توجد مناجم الحجر السماقى الامبراطورى ، وهو حجر جرانيتى دقيق الحبيبات لونه احمر قاتم قد صنعت منه طائفة كبيرة من أجمل التماثيل فى العصر القديم ، ولايزال بوادى البديع آثار رومانية قديمة من مبان واستحكامات وطرق — ويتطرق وادى بلى الى وادى القطار وهو كسابقه فيه العشب وفيه الشجر ، وعند الكيلو متر ٦٥ تقوم استراحة بوليس مصلحة الحدود على رابية بجانب الطريق ، وبالقرب منها بئر الامير فاروق وماؤها عذب غزير ، ويخرج من وادى القطار عند الاستراحة طريق يؤدى الى سطح جبل القطار حيث مناجم المولبدات . وهى لشركة طليانية بقيت تستغلها سنوات طويلة، ولكنها منذ سنتين توقفت عن العمل وصرفت العمال، ولم يبق بمركزها سوى المهندس وهو شيخ طليانى طابت له الاقامة ففضل البقاء وحده وسط هذه الجبال - فتأمل - وبلى والقطار من اجمل الوديان والطريق فيهما مرسوم يحاذى الجبال فى تعاريج كثيرة بين صعود وهبوط، والجبال هنا موحشة جدا تحمل فى طياتها وعلى جدرانها طوابع العصور الطويلة التى تعاقبت ، والكوارث التى نزلت من تفتت وتهشيم وتصدع وانكسار وانثناء وتعرية

وصلنا ممر محنق قبيل الساعة السابعة ، ثم تحدرنا منه الى وادى قنا ، وهنا تغيرت معالم الطريق وطبيعة الجبال، فاصبح الوادى أكثر اتساعا والجبال أقل ارتفاعا ، واختفت الجبال القديمة وظهرت هضاب الجبال الكلسية التى تمتد الى وادى النيل — وبعد أن مررنا بجبل (نجع الطير) ثم بجبل (ابى حد) وطابية الحيط ، وصلنا بير (عراس) وهنا زاد الوادى انفراجا وانبساطا ، وفى منتصف الساعة التاسعة وصلنا قنا ونزلنا ضيوفا على نقطة بوليس مصلحة الحدود

ولوادى قنا شهرة قديمة ، فقد كان طريق المصريين والرومان والعرب الى محاجر الجرانيت ومناجم المعادن وشواطىء البحر الاحمر، ولوقوعه فى سفوح الجبال العالية فانه يترع بالماء وقت الامطار الغزيرة ،وتفيض منه سيول جارفة تصب فى النيل عند قنا وتجلب معها كميات عظيمة من طمى ناعم يعرف (بالحيب) يصنع منه الفخار القناوى المشهور - واختراق وادى قنا امنية قديمة تعلقت بها منذ كنت ناظرا لمدرسة قنا فى سنة ١٩٢٣ وقد حاولت وقتها فى مرة ان امشى فيه يوما كاملا،ولكن ضللت الطريق السوى لتشابه المسالك وجهل الدليل، وبعد ان اقمنا بقنا ليلتين ويوما برحناها بعد نصف الليل بساعتين عائدين فى نفس الطريق فوصلنا الغردقة بعد شروق الشمس بقليل . وبعد يومين ودعنا الغردقة ومن فيها وابحرنا عائدين الى السويس ثم الى القاهرة

وأختم هذه الرحلة بتقديم خالص الشكر لحضرات - الدكتور كرسلاند مدير المحطة ، ومحمد بك حبيب مفتش منطقة البحر الاحمر ، وسيد افندى الحلاوى مساعده ، والدكتور محمود ابو زيد مفتش المناجم ، لما بذلوه عن طيبة خاطر من مجهود عظيم فى سبيل راحتنا ومساعدتنا ، ويلهج كذلك لسانى، بالشكر الوافى لصديقى العالم الكبير الدكتور محمد عبد الخالق بك لما خصنى به من جميل العناية والرعاية ؟

الدمرداش محمد

فى الكتب

جولة فى ربوع الشرق الأدنى

اذا تمثلت الأستاذ ثابت ، فلست أتمثل واحدا من الرجال وكفى ، وإنما أتخيل طريقة بأسرها من طرائق العيش ، وأسلوباً شاملا فى فلسفة الحياة ، أخذ يتبلور ويتركز ، حتى تجسد فى أستاذنا ثابت ، فمن الناس من يقضى حياته التى كتب له أن يحياها على ظهر الأرض ، فى بلد واحد ، بل فى دار واحدة ، بل فى مكان بعينه من الدار . وأجرأ ما يطرأ على حياتهم الضئيلة الآسنة من ارتحال ، انتقال من غرفة فى الدار الى غرفة أخرى كما يقول جولدسمث

وهذا رحالتنا ثابت أراد ان يحيا ! هوذا قد وازن بين حركة الحياة وجمود الموت ، ووازن بين الأيام تدور ، وتدور حول صورة بعينها آسنة راكدة ، وبينها تزخر باسباب الحياة ، فلم يتردد فى الاختيار .. وأخذ يضرب فى مناكب الأرض ، يجوس انحاء اوربا ويخرج للناس وصفا لجولته فى ربوعها ، ثم يجوس فى أنحاء آسيا ويذيع فى الناس وصفا لجولته فى ربوعها ، ثم يجوس فى أنحاء أفريقيا وينشر بين الناس وصفا لجولته فى ربوعها ، وهاهوذا فى الصيف الماضى ، قد جال فى أرجاء الشرق الأدنى وأخرج للناس هذه الجولة الجديدة ، التى نحن بصددها

وان كان القراء قد أمتعهم ما طالعوه من مشاهدات رحالتهم فى اوربا وآسيا وافريقيا ، فكم تمتعهم قراءة هذه الرحلة الاخيرة التى لم تكن بين أقوام من غرب بعيد ، تربطنا واياهم صلات مهما تكن - فهى على شىء من الضعف والوهن ، ولم تكن بين أقوام من شرق أقصى لا نكاد تصلنا بهم الا روابط الانسانية الواحدة والعصر الواحد ، وانما هى رحلة بين شعوب توشجت بيننا وبينها أواصر من الرحم والقربى هيهات أن تقوى على فصمها الأيام ، وهى كما يقول الأستاذ المؤلف حقا فى المقدمة « أقطار تربطنا بها روابط وثقتها أواصر التاريخ والاجتماع والدين . وزادتها رسوخا صلة رحم قديمة واخلاص عميق وعطف متبادل تذكى ناره رغبة مشتركة فى النهوض ، وطموح متأجج للخلاص بأوطان مهددة ظلت ولا تزال تئن تحت أخطاء أبنائها ونهم الطامعين فيها »

قرأت كتاب الاستاذ ثابت ، فكنت أتابعه فى رحلته بلدا بعد بلد ، وقطرا فى أثر قطر ، جبت معه - على حسابه - فلسطين وسوريا وتركيا والعراق وفارس وافغانستان ؛ وكنت أقف معه هذه الوقفات التى تطول حينا وتقصر حينا ؛ أمام روائع الآثار القديمة المنتثرة هنا وهناك فى ربوع الشرق الأدنى ، والتى تثير فى النفس شتى العواطف والذكر . فى المسجد الاقصى ، عند مبكى اليهود ، فى كنيسة القيامة ؛ على جبل الزيتون ، فى ايوان كسرى ، فى الحدائق المعلقة ، فى ضريح الامام الرضى ، وغيرها ... كما خالطت واياه هذه الطوائف المختلفة ، فعرفتها معرفة حية بعد أن كانت مجرد اسماء تتردد : السامريون ، الدروز ، الشيعة ، الصابئة ، اليزيديون عبدة الشيطان وغير هؤلاء

وللاستاذ ثابت مقدرة ممتازة فى الوصف الدقيق لما يشاهده باسلوب سلس فتشعر كأنما هو يتحدث اليك عن رحلته حديثا حلوا شيقا ، بحيث يترك فى ذهنك صورة قوية ، كثيرا ما تميل بك الى العقيدة بانك قد رأيتها رأى العين ، ولا تكاد تقتنع بانها صورة قلبية فقط قرأتها عند الاستاذ ثابت !

كنت أشعر بحلاوة الحديث ، واندفع مشوقا الى القراءة متنقلا من بلد الى بلد .... ولكن لم يستطرد معى هذا الشعور فى كل انحاء الكتاب ، فكأنما عز على الاستاذ ثابت أن يمتعنا متعة محضة خالصة ، دون أن يصدمنا فى الحين بعد الحين صدمة عنيفة ، يضيق بها الصدر ، ويود عندها القارىء أن لم يكن ذلك الكلف على تلك الشمس المشرقة الضاحية ! وإنما أعنى بتلك الصدمات ، هذه الحقائق العلمية التى ركزها فى صفحات قليلة ، نثرها فى أركان الكتاب كأنما يريد بها أن يبلو صبر القارىء على القراءة وجلده على احتمال العلم الصارم . وكم كنت أحب — وليس الاستاذ ثابت بالطبع مكلفا بأداء ما أحب — أن يكون الكتاب كله من ذلك النوع الذى لا أستطيع أن أقرأه الا فى كتاب الرحالة الذى شاهد ورأى ،

وقد يكون من الأثرة أن أغتصب الحكم لنفسى دون القراء جميعا ، فهاهو الكتاب بين أيدى القراء فلا حاجة للاقتباس أو ايراد الشواهد .

ومع أن الاستاذ قد أخذ علينا طريق هذا الاعتراض انه انما أراد بمزج هذه بتلك ، أن يكون الكتاب أداة ثقافية بجانب اللذة والمتاع ، فعلى هذا الاساس من وجهة النظر نوافقه فى شىء من القلق .

وبعد ، فقد اشرك الاستاذ الرحالة قراءه معه فى حياته الزاخرة ، وكان عليه وحده الغرم ، غرم الارتحال وعناء التسطير ، ولقرائه الغنم ، غنم الفائدة والمتاع السائغ .

زكى نجيب محمود

التربية بالقصص

لمطالعات المدرسة والمنزل

الطفل أب الرجل كما يقول الانجليز ، وهو قول صحيح من كل الوجوه ، لأن الرجولة مهما اختلف لونها ، ليست الا ثمرة لهذه البذور التي نبذرها في تربة الطفولة الغفل ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وفي هذا قال الفيلسوف ليبنتز قوله المشهور : « سلمني قياد التربية وأنا كفيل بتغيير وجه أوروبا في قرن واحد من الزمان » يريد بذلك انه يستطيع أن (يصنع) ما يشاء من الرجال مادامت تربية الاطفال موكولا أمرها اليه يتوجه بها الى حيث شاء.

فان كان هذا حقا لايحتمل الشك والجدل ، فما أحوجنا اذن الى وضع الخطط المحكمة وتمهيد الطرق التي تؤدي باطفالنا — وهم رجال الغد — الى رجولة قوية صلبة لا تميل ولا تلين .

وليس من شك في أن امثل الطرق التي تحقق لنا هذا الغرض المنشود ، هي ماسارت مع طبيعة الطفل وغريزته ، أعني يجب ان نقدم له من وسائل التربية ، مايتفق مع غرائزه التي تختلف باختلاف السن حتى نفلح الحديد وهو ملتهب . ولما كان أبرز ماتتميز به طبيعة الطفل في سنيه الأولى هو الخيال القوى الشارد ، وجب أن نعد له مايلائمه من غذاء . وهو القصة الخيالية ، التي نحوكها بحيث نبث في ثناياها مثلا عليا في الاخلاق ، بطريقة غير مباشرة . فينطبع الطفل بطابعها وهو لايشعر

وليست تقتصر القصة التي نقدمها للطفل على هذه الناحية التربوية ، بل إن لها لجانبا آخر لا يقل عن ذلك أهمية وخطرا ، وهو أن يكون للطفل أدب خاص به ، يجد فيه صورة نفسه ، ويصادف عنده متعة تحبب اليه الحياة وتروضه على لذة الدرس والمطالعة ، فيستمتع بها في أوقات فراغه طفلا وشابا ورجلا

هذا النوع من القصص التي تهذب الطفل وتمده بما يحتاج اليه من أدب هو ما يقدمه الينا اليوم الاستاذ حامد القصي في كتابيه « التربية بالقصص » اللذين أعدهما لمطالعات المدرسة والمنزل ، فنجح نجاحا يهنأ عليه تهنئة خالصة صادقة ، ولم يفته أن يكتبهما بالخط الكبير وأن يزينهما بالصور التوضيحية التي تلائم مزاج الاطفال وتبعث الى نفوسهم اللذة والسرور فجاء مثلا للتأليف الطريف الممتع .

ز . ن . م

(الضمير الهارب — بقية المنشور على صفحة ٧٦٤)

يتلقاه بعضنا من بعض في كل يوم ، رجعت محزونا لأن الأداة لم تؤد بعض ماكان يجب أن تؤدى من التمثيل . وعـــدت الى صاحبي ألتمسه فلم أجده ، وأخذ أصحابنا يلتمسونه فلا يجدونه وكلهم شعر بمثل ماشعرت به ، وكلهم يتحدث الى نفسه بمثل ماتحدثت به الى نفسي من الحزن وخيبة الامل ، وقليل منهم يتحدث الى الناس بمثل ما أتحدث به اليك الآن أيها القارىء العزيز . ثم انقضت الاسابيع والاشهر ، واذا أنا أتلقى صباح اليوم منه هذه الاسطر التي دفعتني الى كتابة هذا الفصل . وأحسب أني لن أجيبه الا بارسال هذا العدد من الرسالة اليه . فقد عرفت عنوانه الآن . كتب الي يقول : كتابي اليك أيها الصديق من بلد ناء . فررت اليه بنفسي وضميري من بلد تفسد فيه الضمائر والنفوس ، وآثرت أن أحيا فيه فردا مع نفسي على أن أحيا عنـــدكم حياة الادوات لاحياة الناس ، ولقد كنت أظن أني فارقتكم الى غير رجعة ، ورحلت عنكم الى غـــير عودة . وسئمت حياتكم سأما لاحد له ، وكرهتها كرها لا أعرف له قرارا ، وعجزت عن احتمال أيسر اثقالها . واعترف باني سعدت بهذه الهجرة سعادة خصبة حقا ، واستكشفت فيها نفسي ، ونعمت بهذا الاستكشاف ، وأنست فيها الى ضميري ، واستمتعت بهذا الانس ، ولكني لم البث في هذا البلد شهرا اوشهرين ، حتى احسست ان نفسي لاتكفيني ، وحتى ضقت باطالة النظر في المرآة ، وحتى ذكرت الاصدقاء فنفرت من ذكر الاصدقاء ، وفزعت منهم الى الكتب حينا ، والى مناظر هذه الطبيعة الرائعة حينا آخر ، ومازلت ايها الصديق مطمئنا الى هذا المعقل الذي آويت اليه ، واعتصمت به ولكن انظر ! هأنذا أكتب اليك ، وما كتبت اليك الا لأني فكرت فيك ، ومافكرت فيك الا لأن نفسي نازعتني الى حديثك ، وإذن فقد ابت حياتي تلك الا ان تتبعني في هجرتي وتقتحم على هذا المعقل الذي لجأت اليه ، وكل ماأتمناه الا تغلبني على نفسي ، ولا تخرجني من معقلي ، وأن تكتفي بزيارتي والالمام بي من حين الى حين . فاكتب الي وأطل فقد يظهر أن الحياة التي ترتفع ارتفاعا خالصا عن كل ما نكره من النقائص شيء لاسبيل اليه ، أما أنا فقد جربت الضيق بالحياة في مصر والفرار منها ، وأنا زعيم لكم أيها الاصدقاء بان صاحبكم سيعود اليكم متى انقضى الصيف ومن يدري ، لعل الحياة أن تكون قد عادت الى شيء من الامن والدعة والهدوء ، فتتفتح الأبواب ، وترفع الحجب والاستار ، ولانحتاج فيما بيننا الى اصطناع الرياء ، أو الى اصطناع المجاملة . ثم لايستحي بعضنا من بعض ، ولا يستحي بعضنا لبعض .

طه حسين